التبديل الصوتي وأثره في القوة التعبيرية للمفردة القرآنية

الدكتورة

عازه عبد العزيز محمد عبد السند

مدرس أصول اللغة

كلية البنات الإسلامية في أسيوط ــ جامعة الأزهر

العدد العشرون

للعام ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٦م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

المقدمة

المقدمـــة

الحمد لله العلـيم الهـادي ، والصـلاة والسـلام علـى خيـر الأنـام ، المبعوث رحمة للعباد ، وعلى آله أعلام الإسلام ، وأصحابه مصـابيح الظـلام ، وعلى من سلك طريقه واقتفى أثره وتبع سنته إلى يوم الدين ..... وبعد

من المعلوم أن الجانب الصوتي هو ركن أساس في بيان المعـاني وهـو جزءٌ من كلٍ بمعنى أنه لبنة في بناء أوسع وهو نواة لدراسة اللغـة مـن حيـث الكلمات وأصواتها والجمل وكلماتها والنصوص وعباراتها وقد وهب الله – عـز وجل – الإنسان القدرة على فهم الوحدات الصوتية التي يسـتطيع مـن خلالهـا التعبير عما يكمن في نفسه ويجول في ذهنه ؛ إذ إن اللغة هي مجمـوع الصـور الصوتية الدالة المخزونة في أذهان الأفراد في مجتمع ما وقد تبـين لكثيـر مـن العلماء قديماً وحديثاً أن للجانب الصوتي دوراً مهماً في توضيح الدلالة من خـلال السياق وذلك ما قصدت في دراستي هذه التي تحمل عنـوان " **التبـديل الصـوتي وأثره في القوة التعبيرية للمفردة القرآنيـة** "والذى دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أن لغتنا مع كثرة ألفاظها وسعة دلالاتها لم تكن وما كانت ولن تكون لولا القـرآن الكريم ، فضلاً عما حققه الإبدال الصوتي للغة العربية ؛ إذ يعدّ واحداً من جملـة التغيّرات الصوتية الأكثر شيوعاً في العربية ، فهو يعتري الصوت حـين يجـاور غيره أو يأتلف معه في سياق ما، بحيث يتحوّل الصوت الواحد إلى صوت آخـر، مع الإبقاء على سائر أصوات الكلمة ومع احتفاظها بدلالتها ومعناهـا الأصـلي. وهكذا تشترك الكلمتان أو الكلمات في صوت أو أكثر، في حين يبدل صوت منهـا بصوت آخر يكون قريباً منه في مخرجه من جهاز النطق ، أو قد يشـتمل علـى شيء من خواصه كما قد يكون بعيداً عنه فتنشأ ألفاظ متشـابهة فـي المبنـى والمعنى ، من ثمّ كان الإبدال عاملاً فعّالاً من عوامل نموّ اللغة . وهـو يعـرض لكثير من الأصوات اللغوية ، الصامتة منها والصائتة ، ولا تكاد تخلو منـه لغـة من اللغات .

بناء على ذلك تناول هذا البحث مفهوم التبديل الصوتي وعلاقته بالسياق من خلال بحث مفردات معينة في كتاب الله الخالد وقد استقامت خطة البحث بعد جمع المادة وتصنيفها من خلال المحاور الآتية : -

مقدمة موجزة أوضحت فيها أهمية الجانب الصوتي ، وكيف أنه يعد النواة لدراسة أية لغة .

وتلا ذلك **التمهيد** الذي أوضحت فيه : قدم ظاهرة التبديل الصوتي ، وكيف أنها نالت الكثير من عناية الأقدمين ، وتبعهم في ذلك المحدثون .

ثم انتقلت إلى تحديد **مفهوم التبديل** - الذي تدور حوله دراستنا - في اللغة والاصطلاح .

ثم عرضت **المبحث الأول** : **وجاء بعنوان** " **التبديل الصوتي في الصوامت** " واشتمل على :-

١ - التبديل في فاء الكلمة .

٢ - التدبيل في عين الكلمة .

٣ - التبديل في لام الكلمة .

المبحث الثاني : **وجاء بعنوان** " **التبديل الصوتي في الصوائت** " : واشتمل على :-

١ - التبديل بين الضمة والكسرة .

٢ - التبديل بين الضمة والفتحة.

٣ - التبديل بين الفتحة والكسرة .

٤- التبديل بين الضمة والفتحة ، في مقابل الفتحة والسكون .

ثم خاتمة أودعت فيها أهم النتائج ،وتلا ذلك الفهارس .

ولا أدعي أنني استقصيت في هذه الدراسة كل شيء ، وإنما كان الهدف إظهار حقيقة مفادها : أن التبديل الصوتي له القدرة على إيجاد قوة تعبيرية ، وتحقيق ما يسمى بالانسجام الصوتي بين اللفظ والمعنى .

وأرجو أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة المتواضعة ، فإن كان كذلك فلله الحمد والمنة ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت ، وجمعت في هذه الدراسة ما تهيأ لي من مصادر حول ما تناثر من فكر وأراء حول ظاهرة التبديل الصوتي .

والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد

الباحثة

التمهيـــد

ظاهرة التبديل الصوتي

بين القدامى والمحدثين

التمهيد

ظاهرة التبديل الصوتي بين القدامى والمحدثين

يتناول البحث ظاهرة لغوية جديرة بالدرس والتحليل على وفق المنهج الدلالي من خلال السياق الذى وردت فيه اللفظة ، ورغم البحوث العلمية الرصينة حول كتاب الله إلا أنه لا تزال تُستنهض عزائم الباحثين لمزيد من البحث والتدقيق والتحليل في آفاقه التي لا نهاية له ، إذ إن الحديث عن تلك الآفاق فى نماء دائم ولا تقال فيه الكلمة الأخيرة وكل باحث حسب ما تيسر له من أدوات بحثه يكشف الله له جانب من عجائب هذا الكتاب المعجز ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي** ﴾(١).

وقد توقفت عند ما يسمى { بالتبديل الصوتي }لأن الدرس الصوتي يعد " الخطوة الأولى للدارس اللساني فالصوت أصغر وحدة في اللغة " (٢) . وتوقفت عند بعض النماذج القرآنية إذ إن النص القرآني له تعبير فني مقصود يعتمد ابتداءً على الجانب الصوتي الذى يتحد مع جانب البنية ثم يأتي الجانب النحوي ليفسر الجمل ثم يأتي السياق ليميط اللثام عن المحتوى المراد من تلك الجمل فالدلالة السياقية للتبديل الصوتي من القضايا التي شغلت الباحثين في مجال الدرس اللغوي قديماً وحديثاً ، وقد تناولت الدراسات اللغوية هذا المفهوم من زوايا متعددة فقد تتبع القدماء والمحدثون هذا المصطلح في كتبهم الصرفية والصوتية وما يخص معطيات النص القرآني ، وحاولوا تحديد مسار المصطلح ، فالإبدال والتبديل والتبدل والاستبدال ألفاظ متقاربة في الدلالة أي جعل شيء مكان آخر، والتبديل قد يقال للتغيير مطلقاً ، قال تعالى : ﴿ **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ**

---

(١) سورة الكهف ، أية { ١٠٩ } .

(٢) اللهجات العربية والقراءات القرآنية : خالد محمد ، دار الفجر للنشر والتوزيع ٢٠٠٢م ، ص ٦٥ .

الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾[١]، وقال تعالى : ﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾[٢]، وقال تعالى ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ ﴾[٣] ، وقال تعالى ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ﴾[٤] ، وعلى الوجهين قوله تعالى : ﴿ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ﴾ [٥] ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [٦] ، قيل : معناه أمر وهو نهى عن الخصاء وحقيقته : هم الذين بدلوا أحوالهم الذميمة بأحوالهم الحميدة ، وهم المشار إليهم بقوله تعالى : ﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ [٧] .

وقد اخترت مصطلح { التبديل } لما يحمل معناه اللغوي والاصطلاحي من دلالات تنسجم وما يتعين أن تكون عليه فكرة الموضوع ، وهو مصطلح أقرب وأنسب إلى هذه الدراسة حيث أن تبديل صوت بصوت آخر يكون لحاجة النص إلى ذلك بحيث يؤدى ذلك إلى حدوث تغير في دلالة الكلمة وفي قوتها التعبيرية كما " أن اختيار المصطلح يفهم من الشرح والشاهد ، ولا تقوى على التفريق بين المصطلحات وتفريقها ، بل ضمها أولى تقليلاً لعدد المصطلحات ، وتوحيداً من غير تشقيق مشوش في الفهم والحفظ والتطبيق والتذوق والجمال "[٨] .

---

(١) سورة البقرة ، أية { ٥٩ } .
(٢) سورة الفرقان ، أية { ٧٠ } .
(٣) سورة البقرة ، أية { ١٠٨ } .
(٤) سورة محمد ، أية { ٣٨ } .
(٥) سورة يونس ، أية { ٦٤ } .
(٦) سورة الروم ، أية { ٣٠ } .
(٧) سورة الفرقان ، أية { ٧٠ } .
(٨) فن الاختيار والبلاغة العربية د/ محمد بركات حمدي أبو على ، دار الفكر للطباعة والنشر والنشر والتوزيع ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م ، ص ٥٥ .

ففي القديم :-

ذكر ابن فارس أن " من سنن العربية إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض ، فأما ما جاء في كتاب الله ــ جل ثناءه فقوله : ﴿ **فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ** ﴾ (١) فاللام والراء يتعاقبان كما تقول العرب فلق الصبح وفرقه"(٢).

وسبق { ابن فارس } في التنبّه إلى هذه الظاهرة { الفرّاء } الذي كان يدرك ألفاظ الإبدال إدراكاً مختلفاً، فقد كان يراها على أنّها ضرب من القوانين التي تخضع لها الأصوات أثناء التأليف فيما بينها، فقال : " إنّ نفراً من بلعنبر يصيّرون السين إذا كانت مقدمة وجاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء – صادا، وذلك أنّ الطاء حرف تضع فيه لسانك في حنكك فينطبق الصوت فتنقلب السين صادا، صورتُها صورة الطاء ، واستخفّوها ليكون المخرج واحداً كما استخفّوا الإدغام ، فمن ذلك قوله: الصِّراط والسِّراط ، قال : وهي بالصاد لغة قريش الأوّلين التي جاء بها الكتاب، قال : وعامّة العرب تجعلها سيناً " (٣) .

وقد عد الخليل التبديل الصوتي ظاهرة صوتية إذ ذكر التبديل بين القاف والفاء في قولهم { الزعاق والزعاف } (٤) .

---

(١) سورة الشعراء ، أية { ٦٣ } .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة ، لابن فارس ، تحقيق الدكتور / مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ١٩٦٤م ، ص ٢٠٤ ، فقه اللغة وخصائص العربية ، لأبى منصور الثعالبي ، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين ، الطبعة الثانية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبى بمصر ، القاهرة ١٩٥٤م،ص ٢٤٧ .

(٣) الإبدال، لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق / عز الدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العربي ، دمشق ١٩٦٠-١٩٦١م ١٥/١ .

(٤) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، لمحمد حسين آل ياسين ، دار مكتبة الحياة ١٩٨٠م ، مجلة اللسان العربي ، ص ٤١٧ .

وفي العصر الحديث :-

يعد { أحمد فارس الشدياق } من أوائل المحدثين الذين تحدثوا عن هذه الظاهرة خاصة في المعجم الضخم { سرّ الليال في القلب والإبدال } الذي تَحَدّث في مقدّمته عن أكثر الألفاظ التي يعتريها الإبدال : " أنّها تكون في الألفاظ الدالة على القطع والكسر والخرق والهدم والشقّ والفرق والتبديد ، لأنّها كلّها من جنس واحد ، وجلّها مأخوذة من حكاية صوت نحو:{ قَتّ وقَدّ وقَضّ وقَطّ } و { جَذّ وجَثّ وجَذّ وجَزّ،...}" (١) كما أنّه يرى أنّ المضعّف من الأفعال هو الأصل ، ثم يضاف إليه حرف ثالث لتخصيص فكرة القطع واتّصالها بنوع {المقطوع }، وعلى هذا الأساس تتمّ عملية الإبدال (٢) .

ومنهم من أرجع السبب وراء حدوث هذه الظاهرة إلى اختلاف القبائل في النطق بأصوات الكلمة . ومن هؤلاء نذكر { إبراهيم السّامرائي } فهو يرى أنّ : " العربية قد اشتملت على لغات عدّة هي لغات القبائل المختلفة ، وطبيعي أن يحصل الخلاف بين هذه اللغات لاختلاف البيئة ، وعلى هذا فإن كثيراً ممّا حُمِّل على الإبدال داخل ضمن هذه اللغات" (٣) .

ويرى { إبراهيم أنيس } أنّه : " حين نستعرض تلك الكلمات التي فُسِّرت على أنّها من الإبدال حيناً، أو من تباين اللهجات حيناً آخر ، لا نشكّ لحظة في أنهّا جميعاً نتيجة التطوّر الصوتي ؛ أي أنّ الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي

---

(١) سر الليال في القلب والإبدال، لأحمد فارس الشدياق، مطبعة العامرة السلطانية بالأستانة١٢٨٤م ، ص ٥ .

(٢) الإبدال في ضوء اللغات السامية، لكمال ربحي ، جامعة بيروت العربية ١٩٨٠م ، ص١٠٤ . والتطور اللغوي التاريخي، لإبراهيم السّامرائي ، دار الأندلس، الطبعة الثانية ١٩٨١م، ص ١١٥ .

(٣) السابق نفس الصفحة .

لها المعاجم صورتين أو نطقين ، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز صوتاً من أصواتها ، نستطيع أن نفسّرها على أنّ إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطوّر عنها ، غير أنّه في كلّ حالة يُشْترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الصوتين المبدل والمبدل منه" [١] .

وأطلق الدكتور / تمّام حسّان على هذه الظاهرة { التعاقب } وعرفها بقوله : { هي صلاحيّة عنصر لغوي أن يحلّ محل عنصر لغوي آخر، سواء أكان أحد العنصرين أو كلاهما مفرداً ، أم جملة ، فإذا حلّ محلّه، أخذ حكمه}[٢] .

هذه بعض آراء الدارسين القدامى والمحدثين في ظاهرة الإبدال ، والتي مع تعدّدها، تؤكّد أنّ الإبدال ظاهرة صوتية وردت في اللغة العربية المشتركة بشكل لا ينكر، وقد مثلت مستويات من التطوّر التي مرّت بها،

والإبدال في اللغة يعني : -

يقول ابن فارس: " الباء والدال واللام أصلٌ واحدٌ، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب يقال: هذا بَدَل الشيء وبديله، ويقولون: بَدَّلت الشيء إذا غيرته ولم تأت له بِبَدَلٍ " [٣]. ويقول ابن منظور: " مصدر أبدلت كذا من كذا إذا أقمته مقامه، و الأصل فيه جعل شيء مكان شيء آخر" [٤] .

---

(١) من أسرار اللغة، لإبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة البيان العلمي، ط الثانية، ص٥٨.

(٢) الخلاصة النحويّة ، لتمام حسان ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م ، ص ٣٢ . والبيان في روائع القرآن ، لتمام حسان ، عالم الكتب، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م ، ٨٧/١ .

(٣) مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة مصطفى البابى الحلبى ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . ٢١٠/١ مادة (ب د ل) .

(٤) لسان العرب ، للإمام العلامة / أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، تحقيق / عبدالله على الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذل ، طبعة دار صادر بيروت ٢٣١/١ مادة (ب د ل) .

وفي الاصطلاح :- عُرف بعدة تعريفات منها :-

- **جعل حرف مكان آخر أو حركة مكان أخرى [١].**
- **قيام صوت مقام آخر مطلقاً، أو بعض الأصوات مقام بعض، مع اتحاد المعنى[٢].**
- **جعل حرف مكان آخر مطلقاً سواء أكان الحرفان من أحرف العلة، أم كانا صحيحين، أم مختلفين. وحروفه ثمانية يجمعها قولك: { هدأت موطياً } [٣].**

أنواع الإبدال :-

١ – الإبدال المطرد :

وهو: " الذي إذا استوفى شرطه وجب تنفيذه وهو الخاص بحروف{ هدأت موطياً } وهذا النوع هو ما يطلق عليه { الإبدال الصرفي } وقد اهتم علم الصرف بدراسته " [٤].

---

(١) اللهجات العربية ، الدكتور/ إبراهيم نجا، مطبعة السعادة ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م ، ص ٧١ .

(٢) اللهجات العربية في روايات غريب الحديث والأثر دراسات صرفية ونحوية ، للدكتور / أبو السعود الفخراني، طبعة مكتبة المتنبي ، ص ١١.

(٣) الممتع في التصريف ، لابن عصفور ، تحقيق الدكتور / فخر الدين قباوة ، طبعة دار الآفاق الجديد الطبعة الرابعة ٣٢/١ . وشرح المفصل للشيخ العلامة / موفق الدين يعيش بن على بن يعيش النحوي ، طبعة مكتبة المتنبي بالقاهرة طبعة عالم الكتب بيروت . ٧/١ . وشرح الشافية للرضى ، تحقيق / محمد حسين وآخرين ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ١٩٧/٣. والخصائص ، لأبى الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق الأستاذ / محمد على النجار ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٦٥/١ . وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبى ، القاهرة ٢٧٩/٤ . والتصريح بمضمون التوضيح ، للشيخ / خالد الأزهري ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبى ، القاهرة ٣٦٦/٢ .

(٤) دراسات في فقه اللغة ، للدكتور / صبحى الصالح ، طبعة دار العلم للملايين ، ص ١١٦ .

٢ – الإبدال غير المطرد :

وهو الذي لا تحكمه قواعد أو قوانين [١]، وينشأ من تعدد اللهجات العربية لاختلاف القبائل العربية في بعض طرائق النطق بطريقة طبيعية غير متعمدة . وهذا النوع من الإبدال يطلق عليه { الإبدال اللغوي } أو { السماعي} [٢].

٣ – الإبدال النادر :

وهو خاص بإبدال اللام من النون في أصيلان فقالوا : أصِيلال [٣].

وعلى ذلك فمصطلح التبديل الصوتي يعنى " وضع صوت أو مقطع لغوى مكان صوت أو مقطع لغوى آخر وما يحدث من تغيير في الدلالات يفضى إلى تغيير في المدلولات " [٤] ، بمعنى أن هناك تقارباً ملموساً مركزياً بين اللفظين يكون نتيجة تقارب الصوتين ، ولكن هذا لا يعنى أن الكلمتين تحملان معنى واحداً ، بل إن لكل كلمة معنى مخالفاً ، قال السيوطي " فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني ، فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملاً أو صوتاً وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملاً وأعظم حساً..."[٥]

---

(١) العربية خصائصها وسماتها ، للأستاذ الدكتور / عبد الغفار حامد هلال ، مكتبة وهبة ، الطبعة الخامسة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م ، ص ٢٥٧ .

(٢) اللهجات العربية في روايات غريب الحديث والأثر د/ أبو السعود الفخراني ص ١١ وما بعدها.

(٣) المزهر في علوم اللغة ، تحقيق / محمد أحمد جاد المولى بك ، محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البيجاوي دار التراث بالقاهرة ، الطبعة الثالثة بلا تاريخ ، ٤٦١/١ .

(٤) علم الأصوات العام ، للدكتور / كمال بشر ، ص ٣٢ ، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٠ م .

(٥) المزهر في علوم اللغة : السيوطي تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم وآخرين دار التراث بالقاهرة ، ١ / ٥٢

والصوت المدروس في هذا البحث هو ما له القدرة على إيجاد تغيير دلالي بين كلمتين مختلفتي المعنى وله القدرة أيضاً على إيجاد قوى تعبيرية تشعر القارئ بقوة لفظ ما لاشتماله على صوت ما دون غيره من الأصوات ، ويعد هذا الاجراء التبديلي منهجاً علمياً يفيد منه الدارس في إدراك التركيب وجمالياته وغاياته ، ودرسنا هذا ينطلق من اختيار وحدات لغوية معينة على سبيل الانتقاء لا الاستقصاء وقد توالت الأمثلة الواردة في كتاب الله بالأصوات الدالة والمحددة لدلالات الألفاظ .

المبحث الأول

التبديل الصوتي

بين الصوامت

المبحث الأول
التبديل الصوتي بين الصوامت

توطئة :-

عُرف الصامت بأنه : هو الصوت اللغوي الذى يحدث نتيجة احتكاك في مكان ما من جهاز النطق وهو الحرف الصحيح في العربية [١]. وقد درس الاختلاف بين الصوامت العلماء الأوائل وصرحوا بوجود اختلاف دلالي بين الألفاظ ذات الصوامت المختلفة ورأوا أن معانى الأصوات القوية تنتظم للتعبير عما يناسبها من دلالات ، والأصوات الضعيفة لما يتفق معها " من ذلك قولهم " الوسيلة " و " الوصيلة " والصاد – كما نرى – أقوى صوتاً من السين ، لما فيها من استعلاء ، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة ، وذلك أن التوسل ليست عصمة الوصل والصلة ، بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء ، ومماسته له ، وكونه في أكثر الأحوال بعضا له كاتصال الأعضاء بالإنسان وهى أبعاضه ، ونحو ذلك ، والتوسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسل جزءً أو كالجزء من المتوسل إليه ، وهذا واضح ، فجعلوا الصاد لقوتها ، للمعنى الأقوى والسين لضعفها للمعنى الأضعف" [٢]. وكذلك " صعيد " و " سعيد " والدليل على أن الصاد أقوى هو تعبيرها عن الصعود ، وهذا الفعل هو ما يرى بالعين ، و " سعيد " هو ما تحسه النفس بدون رؤيته [٣] . وإلى ذلك أشار ابن جني بقوله :

---

(١) الأصوات اللغوية ، د / إبراهيم أنيس ، ص٢٦ ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، للدكتور/ رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م ، ص ١٠١ .

(٢) مبادئ اللسانيات ، أحمد محمد قدور ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، سنة ١٩٩٦م ، ص ١٤٣ .

(٣) علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٨م ، ص ١٤٣ .

" ألا نراهم قالوا : " قضم في اليابس وخضم في الرطب ، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء ، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف " [١] . فكل صامت داخل الكلمة له القدرة على إيجاد قوى تعبيرية واضحة في المعنى.

ومن علماء العربية الذين أدركوا هذه الظاهرة الصوتية ابن فارس في معجم { مقاييس اللغة } فهو يورد كماً كبيراً من الكلمات التي حصل فيها مثل هذا الإبدال ، فأدى كل صامت دلالة تختلف عن الدلالة التي أداها صامت آخر ، ومن هذه الأمثلة ما يلى :-

فر : الفاء والراء يدلان على معان ثلاثة : الأول : الانكشاف ، في قولهم: { فر عن أسنانه إذا تبسم أي كشف عنها } . والثاني : جنس من الحيوان في مثل الفرير وهو ولد البقرة. والثالث : الخفة والطيش . يقال : رجل فرفار بمعنى طائش .

فز : يدل على الخفة .

فش : يدل على الانتشار وقلة التماسك .

فض : يدل على التفريق والتجزئة .

فظ : يدل على الكراهة .

فغ : يدل على محاكاة الصوت يقولون : الفغفغة .

كما أورد ابن فارس في مقاييسه جملة من الألفاظ الأخرى التي تتألف من مادة واحدة وهى الفاء والراء { ف ر } وصامت ثالث يغير معنى هذه المادة كلما حصل تبديل، ومن هذه الألفاظ : فرز ، فرس ، فرش ، فرص ، فرض ، فرط ، فرع ، فرغ ، فرق، فرك ، فرم ، فره ، فرى فرت ، فرث ، فرج ، فرح ، فرخ ،

---

(١) الخصائص : ابن جنى ت ٣٩٢ هـ ، تحقيق محمد على النجار ، الطبعة الثانية ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، ١ / ٦٥ .

فرد ٠٠٠الخ وكذلك مادة { ق ط } مع صامت ثالث ، في مثل : قطع ، قطف ، قطل ، قطم ، قطن، قطو، قطب٠٠٠ الخ [١] .

ولنا فيما جاء في كتاب الله – عز وجل – من إبدال دليل على ما ذكرنا، فإذا تأملته وجدته أمراً مقصوداً في كل جزئية من جزئياته قائماً على أعلى درجات الفن والبلاغة والإعجاز في الكشف عن سر مستور، أو كنز مخبوء من كنوز هذا التعبير العظيم ، مستعينة بالقراءات القرآنية بوصفها مادة لغوية حية في الاستدلال بها على معنى المفردة اللغوية ، والقوى التعبيرية التي تحدث من خلالها ، ولا سيما إذا كان اللفظ من مفردات القرآن والاستعانة بها للوصول إلى بيان التطور الدلالي .

أولاً : وقوع التبديل في فاء الكلمة :-

١ – { بكة - مكة } : -

وقع هذا التبديل بين الباء والميم في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً** ﴾ [٢] . وقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً** ﴾ [٣] .

ولعل الذي سوغ هذا التبديل في هاتين الكلمتين ، هو أن الباء صوت شديد ، والميم صوت رخو فناسب الباء " البك الدال على الزحام لأنه في الحج يبك الناس بعضهم بعضاً ، أي يزحم بعضهم بعضاً وسميت { بكة } لأنهم يزدحمون

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م ، المواد المذكورة .

(٢) سورة آل عمران أية { ٩٦} .

(٣) سورة الفتح أية { ٢٤} .

فيها " [١] . واشتقاق { بكة} إننا نقرأ " بك المكان " أي ازدحم المكان ، وهكذا نعرف من قول الحق ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً** ﴾ أي أنه مكان الازدحام الذى يأتي إليه كل الناس وكل الوفود ، لتزور بيت الله الحرام ، ولا أدل على ازدحام البيت الحرام من أن الرجال والنساء ، يختلط بعضهم ببعض، والإنسان يطوف بالبيت الحرام ، ولا يدرى أنه يسير وقد يلمس امرأة أثناء الطواف " [٢] . وليس السياق كذلك في قوله تعلى ﴿ **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً** ﴾ [٣] ، فقد ذكرت مكة باسمها المشهور دلالة على مكان معين وهى هذه البلدة الشريفة المعروفة . فقد ساعد ملمح الجهر والشدة في صامت الباء ، على إبراز دلالة الزحام الذى هو أكثر انسجاماً مع السياق الذى وردت فيه والذى ميز دلالة هذا الصامت { الباء } فأصبح أكثر بروزاً وأجمل إيقاعاً ، مجاورته للصوت المهموس {الكاف} مما أضاف قوة تعبيرية وانسجاماً بين اللفظ والمعنى .

٢ – { غِشاوة - عِشاوة } :-

تخرج العين من وسط الحلق ، أما الغين فإن مخرجها من أدناه، فهما متجاوران في المخرج غير أنهما مع هذا التجاور ، لم يقع فيهما من الإبدال في كلام العرب ما يستحق الوقوف عنده [٤]. فقد ذكر ابن جنى أن العرب تقول :

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق / صفوان عدنان داوودى ، دار القلم، دمشق : الطبعة الأولى ١٩٩٦م ، ص ٥٧ .

(٢) تفسير الشعراوي ، أخبار اليوم ، قطاع الثقافة ، ١٩٩١ م ، ص ٤٨٧ .

(٣) سورة الفتح أية { ٢٤ } .

(٤) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ، الدكتور/ حسام النعيمي ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م ، ص ١٣٩ .

لعنى ولغنى في { لعل} وحكم أن يكون الغين فيه بدلاً من العين ، لسعة العين في الكلام ، وكثرتها في هذا المعنى ، وقلة الغين(١) . ومن المحدثين من أرجع هذا الإبدال " لعيب نطقي أو لخطأ في السمع مستدلاً على ذلك بقول الأطفال بعداد في بغداد " (٢) .

وقد ورد إبدال { العين بالغين } في لفظة غشاوة من قوله تعالى : ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ** ﴾ (٣) إذ قرئت "عشاوة" بالعين غير المعجمة بناءً ومعنى من العشا ، وهو سوء البصر(٤) .

والغِشاوة في كلام العرب : الغطاء ، يقال : غشاه : أي غطاه (٥) .

ومنه قول الشاعر الحارث بن خالد بن العاص (٦) :

تَبعتُك إذ عيني عليها غِشاوةُ ∴ فلما انجلت قطّعتُ نفسي ألومُها

---

(١) سر صناعة الإعراب : لأبى الفتح عثمان بن جنى الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ١ / ٢٥٥ .

(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ، الدكتور/ حسام النعيمي ، ص ١٣٩ بتصرف .

(٣) سورة البقرة أية { ٧ } .

(٤) تفسير البحر المحيط ، لأبى حيان الأندلسي تحقيق الشيخ / أحمد عبد الموجود ، والشيخ/ على محمد معوض دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م . والتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، للإمام فخر الدين الرازي ١ / ٤٩ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ص ٦٠٧ ، دار القلم ، دمشق، الدار الشامية ، بيروت الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ .

(٦) البيت للحارث بن خالد المخزومي ، لسان العرب ، لابن منظور ١٠ / ٧٦ ، دار إحياء إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي بيروت ، لبنان .

والغِشاوة { فِعالة } من التغشية أي التغطية ، بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة [١] . وتنكيرها في الآية الكريمة قد يكون للتفخيم والتهويل أي : غشاوة أيّ غشاوة ، أو يكون للإشارة إلى نوع من الأغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله [٢].

ونقل القرطبي عن بعض المفسرين قوله : إن الغشاوة على الأسماع والأبصار والوقف على { قلوبهم } في حين نقل عن آخرين أن الختم في الجميع، والغشاوة هي الختم [٣] .

أما قراءة { عِشاوة } فمن { العَشا } بالفتح والقصر ، قال الراغب : العشا ظلمة تعترض في العين .... عشى عن كذا نحو : عمى عنه ، قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [٤] ، فهو سوء البصر بالليل والنهار ، يكون في الناس والدواب والإبل والطير ، وقيل هو أن لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار، وقيل : العشا يكون سوء البصر من غير عمى ، وعشا عن الشيء يعشو: ضعف بصره عنه [٥] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، اعتنى به وصححه / هشام سمير البخاري ، ١ / ١٤٠ دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، . والبيت موجود في الشواهد الشعرية في كتاب { أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن } لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ١ / ١٢ : ١٣ . والبيت موجود في كتاب سفط الملح وزوح الترح ، لسعد الله بن نصر بن سعيد الحنبلي المعروف بابن الدجاجي ١ / ٣ كتاب الكتروني . والبيت من بحر الطويل .

(٢) روح المعاني ، للعلامة / أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ، ضبطه وصححه ، على عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ،بيروت ، لبنان ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ١ / ١٣٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١ / ١٤٠ .

(٤) سورة الزخرف أية { ٣٦ } .

(٥) لسان العرب ٩ / ٢٢٥ { ع ش ا } .

وعلى الرغم من أن قراءة الإبدال قد أثرت المعنى وزادته عمقاً إلا أن أبا حيان ، بعد أن أورد جملة من القراءات من ضمنها قراءة الإبدال المذكورة ، نسب إلى بعض المفسرين القول : إن أصوب هذه القراءة ما عليه السبعة من كسر الغين على وزن عمامة والأشياء التي هي أبداً مشتملة [١] . ثم إن {على } في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ قد أفادت الاستعلاء المعنوي ، وهو معنى أصيل ثابت لها [٢] . ولا يتسق هذا مع قراءة الإبدال {عشاوة } بالعين ؛ لأن العشا كما ذكرنا سبب داخلي من العين ذاتها مما يستوجب أن تكون { على } موافقة للباء وهو معنى طارئ عليها أي : وبأبصارهم عشاوة ، كما تقول العرب اركب على اسم الله ، أي: باسم الله [٣].

٣ - { **هُمز - لُز** } :-

قال تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [٤] .

فرق أهل اللغة بين الهمز واللمز قال الخليل : " والهمزة من يهمز أخاه في قفاه من خلفه بعيب ، واللمزة في الاستقبال " [٥] . وفي اللسان : " الهماز : العيابون في الغيب، واللماز: المغتابون في الحضرة " [٦] . فاللمز هو العيب في الحضره ، والهمز هو العيب بالغيب

---

(١) تفسير البحر المحيط ١ / ١٧٧ .

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني ، لحسن بن قاسم المرادي تحقيق الدكتور / طه محسن ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص ٤٤٤ .

(٣) السابق ٤٤٥ .

(٤) سورة الهمزة أية { ١ }

(٥) كتاب العين مرتبا على حروف المعجم ، تصنيف / الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ترتيب وتحقيق الدكتور / عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م { ه م ز } .

(٦) اللسان ٦ / ٤٦٩٩ { ه م ز } .

ومن هنا يمكن القول أن وجود صوت اللام المجهور هو أقوى في التعبير وإظهار لما هو أعظم وأفضل بما يوقظ السمع وينبه الإنسان إلى وقع ظاهرة اللمز التي هي أشد أثراً من دلالة الهمز، لأن الذى يطعنك في وجهك أمام الآخرين ويرميك بشيء أنت منه براء ، يكون وقعه أشد فيما إذا كان يطعنك في غيابك ، وقد نهى الله – سبحانه وتعالى – عن اللمز فقال جل ثناؤه ﴿ **وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ (١) ، قال ابن قتيبة : " أي لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين لأنهم كأنفسكم " (٢) . وقال الطبري : " فجعل اللامز أخاه لامزاً نفسه ، لأن المؤمنين كرجل واحد والمؤمنين كالجسد الواحد " (٣) .

ويتضح أثر ذلك الصامت { اللام } وقوته التعبيرية من خلال سياق الحال فقد استعمل القرآن اللمز دون الهمز في الحديث عن المنافقين في أثناء توزيع الصدقات قال تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ** ﴾ (٤) أي أنهم قالوا إن الرسول ﷺ لا يقسم الصدقات بالمساواة مما يدل على أن معانى اللمز أشد وأوقع من الهمز(٥) .

٤- { أَشَاءُ – أَسَاءُ }

الشين والسين صوتان مهموسان (٦) غير أنهما من مخرجين متباعدين ، ، فالشين من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى . والسين من بين

---

(١) سورة الحجرات أية { ١١ } .

(٢) تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، تحقيق/ أحمد صقر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٨١م ، ص ١٥١ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ١٥٥/٢ .

(٤) سورة التوبة { ٥٨ } .

(٥) البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق الشيخ / عادل أحمد عبد الجواد وآخرون، وآخرون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م ، ٥ / ٥٦ .

(٦) الأصوات اللغوية ، لإبراهيم أنيس ص ١٧ .

طرف اللسان فوق الثنايا ، وهو من الأصوات التي وصفت بالصفير[١] . وقد علل ابن جنى { ت ٣٩٢هـ } الإبدال الحاصل بين هذين الحرفين في عدد من الكلمات ، إلى أن السين أعم تصرفا من الشين [٢].

وقد ورد الإبدال بين هذين الحرفين في قوله تعالى:﴿ **قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ**﴾ [٣] حيث قرئت " أصيب به من أساء " [٤] إذ أبدلت السين بالشين مع إسناد الضمير إلى الغائب. و " أشاء " بالشين المعجمة على القراءة المشهورة من شئت الشيء أشاؤه شيئاً ومشيئةً ومشاءةً ومشايةً : أردته . والمشيئة : مصدر شاء يشاء مشيئة ، وقالوا : كل شيء بشِيئةِ الله ، بكسر الشين مثل شيعة أي بمشيئته [٥] . وبناءً على ما تقدم يكون معنى { **مَنْ أَشَاءُ** } على القراءة المشهورة : أي من وجب في الحكمة تعذيبه لعصيانه ، ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة [٦] . وإنما علق العذاب بالمشيئة لجواز الغفران بالعقل[٧] . روى عن ابن عباس أن معناه : أصيب به من أشاء على الذنب اليسير[٨]. وقال الرازي ، معناه : "أنى أعذب من أشاء ، وليس لأحد على اعتراض ؛ لأن الكل ملكي ، ومن تصرف في خالص ملكه فليس لأحد أن يعترض عليه " [٩] .

---

(١) الكتاب ، لسيبويه ٤ / ٤٣٤ .
(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ٢١٥ .
(٣) سورة الأعراف آية { ١٥٦ } .
(٤) وهي قراءة الحسن وعمرو الأسواري ، المحتسب ١ / ٢٧٣ . والكشاف ٩ / ٣٩٠ .
(٥) اللسان ٧ / ٢٤٨ { ش ي أ } .
(٦) الكشاف ٩ / ٣٩٠ .
(٧) مجمع البيان ٤/ ٧٤٧ .
(٨) البحر المحيط ٤ / ٤٠٠ .
(٩) التفسير الكبير ٥ / ١٩ .

أما قراءة الإبدال { مَنْ أَسَاءُ } بالسين المهملة فهي من أساء الرجل إساءة : خلاف أحسن . وأساء إليه نقيض أحسن إليه ، وأساء الشيء : أفسده ولم يحسن عمله، وأساء فلان الخياطة والعمل [١] .

وبناءً على ما قدمناه يتضح لنا أن الإبدال بين صوتي { الشين والسين } في هذه القراءة قد نتج عنه اختلاف في المعنى ، وتغاير لا يمكن تجاهله ، وبناءً على هذا الاختلاف فقد رأى ابن جنى في قراءة الإبدال{ مَنْ أَسَاءُ } أنها أشد إفصاحاً بالعدل من القراءة الفاشية التي هي {مَنْ أَشَاءُ } لأن العذاب في قراءة الإبدال مذكور علة الاستحقاق له ، وهو الإساءة ، في حين أن القراءة الشائعة لا يُتناول من ظاهرها علة إصابة العذاب له وأن ذلك يرجع إلى الإنسان مع علمنا أن الله – سبحانه – لا يعذب أحداً منهم إلا بما جناه [٢] .

وللمعتزلة تعلق بهذه القراءة من جهة إنفاذ الوعيد ، ومن جهة خلق المرء أفعاله ، وإن أساء لا فعل فيه لله تعالى . والانفصال عن هذا كالانفصال عن سائر الظواهر [٣] . وشكك بعض العلماء في صحة هذه القراءة [٤] . وعدها وعدها الطبرسي من الشواذ وأن الوجه في القراءة المشهورة هو الظاهر [٥] . فالله – سبحانه – لا يعجل بالعذاب ولا يعاقب كل من يسئ فلو فعل ذلك ما ترك عليها من دابة ، بل علق عذابه بالمشيئة المتوافقة والمنسجمة مع الحكمة الإلهية، بدلالة قوله تعالى بعد الآية محل الشاهد ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي شأنها أنها واسعة تبلغ كل شيء ، ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص

(١) اللسان ٦ / ٤١٦ .
(٢) المحتسب ١ / ٣٧٣ .
(٣) البحر المحيط ٤ / ٤٠٠ .
(٤) السابق نفس الصفحة .
(٥) مجمع البيان ٤ / ٧٤٧ .

إلا وهو متقلب في الدنيا بنعمتي ، وفى نسبة الإصابة إلى العذاب بصيغة المضارع، ونسبة السعة إلى الرحمة بصيغة الماضي ؛ إيذان بأن الرحمة مقتضى الذات ، وأما العذاب فمقتضى معاصي العباد ، والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة أيضاً ، وعدم التصريح بها قيل : تعظيماً لأمر الرحمة ، وقيل : للإشعار بغاية الظهور [١] .

٥ – { جاسوا – حاسوا }

اشترط ابن جنى ، وأستاذه أبو على الفارسي لحدوث ظاهرة التبديل ، تقارب أو تدانى مخارج الصوتين المبدلين . وقد صرح ابن جنى بذلك حين رد الأمثلة التي تتعارض مع نظرية المخارج هذه قائلاً : " فأما قول من قال في قول تأبط شراً :

كأنما حثحثوا حصاً قوادمُهُ ∴ أو أُمَّ خِشْف بذي شث وطباق

إنه أراد : حثثوا فأبدل من {الثاء } الوسطى { حاء }، فمردود عندنا ... وسألت أبا على عن فساده فقال : العلة في فساده ، أن أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها ؛ وذلك الدال والطاء والتاء ، والذال والظاء والثاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه " [٢] . وهو بهذا يعد أول عالم عربي استعمل نظرية المخارج في تعليل ظاهرة الإبدال في كتابه { سر صناعة الإعراب } [٣] . في حين نُقل عن الخليل أنه لم يشترط تقارب المخارج في الإبدال حين أجاز في قوله جل ثناؤه ﴿ **فَجاسُوا** ﴾ [٤] أن يكون إنما

(١) روح المعاني ٥ / ٧٢ : ٧٣ .
(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ١٩٢ وما بعدها .
(٣) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، لعبد العزيز سعيد الصيغ ، ص ٢٣٢ .
(٤) سورة الإسراء آية { ٥ } .

أراد {فَحاسُوا } فقامت الجيم مقام الحاء ، وهو إبدال بين صوتين متباعدي المخارج ، فالجيم شجرية مجهورة والحاء حلقية مهموسة . وهو ما أثار استغراب ابن فارس الذى قال معقبا : " وما أحسب الخليل قال هذا وما أحقه عنه " (١) . ويستشف من قول ابن فارس أنه يؤيد الرأي القائل بقرب المخارج في الإبدال ، وهو ما لم يشترطه الكسائي { ت ١٨٩هـ } وكذلك الأصمعي { ت٢١٦هـ } وابن الأعرابي { ت٢٣١هـ } وابن السكيت { ت ٢٤٤هـ } (٢).

ثانياً : وقوع التبديل في عين الكلمة :

١- { شغف - شعف } :-

الشَغاف لغة : هو غلاف يحيط بالقلب ، فهو دونه كالحجاب ، وشغفه شغفاً بمعنى وصل إلى شغاف قلبه ، والشغف : هو أعالي كل شيء ورأسه ، فشغف الجبل : رأسه وأعاليه وشغف القلب : هو رأسه المعلق عند النياط (٣). قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ (٤) .

ذكر أغلب المفسرين أن { شغف وشعف} بمعنى لهجى واحد ولهما دلالة واحدة (٥) .

ودلالة السياق توضح لنا اختلافاً واضحا بين اللفظين فالشعف في العربية بمعنى الحرق " من شعف البعير إذا هنأه فأحرقه بالقطران " وقرئت الآية الكريمة

---

(١) الصاحبي لابن فارس ٢٠٤ .

(٢) الدراسات اللغوية عند العرب ، مجلة اللسان العربي ص ٤٨٥ .

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، مكتبة الرشد، الرياض ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م ، { ش غ ف } .

(٤) سورة يوسف { ٣٠ } .

(٥) معاني القرآن ، للفراء ١ / ٤٤٣ .

بالعين والغين ، فمن قرأها بالعين المهملة فمعناه : تَيَّمها ، ومن قرأها بالغين المعجمة فمعناه : أصاب شغافها [١] .

وقال آخرون : شعاف الجبال: أعاليها ، يؤيد ذلك قول الرسول محمد ﷺ " يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن " [٢]. قال ابن حجر: " معناها رؤوس الجبال ولم يرد في القرآن، والعرب تقول فلان مشعوف بفلانة : أي برح به حبها ، وأما بالمعجمة فيقال : لصق بقلبي وداخله ، والشغاف : حجاب القلب " [٣].

وهو مناسب للتباين الصوتي بين الصامتين، فالشغف يمس القلب برقة وعذوبة يتذوقها الولهان أول حبه ، جاء في البحر المحيط " شغف : خرق الشغاف ، وهو حجاب القلب ، وقيل سويداؤه ، وقيل: داء يصل إلى القلب فينفذ إلى القلب . وكسر الغين لغة تميم . وقيل : الشغاف جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب ، شغف وصلت الحدة إلى القلب فكان يحترق من شغف البعير إذا هنأه فأحرقه بالقطران ، والمشغوف الذى احرق الحب قلبه " [٤].

قال أبو السعود في قوله تعالى ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً ﴾ " أي شق حبه شغاف قلبها هو حجابه " [٥] . يعضد ذلك كله ما روى عن السلف في الدلالة

---

(١) اللسان ٤ / ٢٢٨٠ { ش ع ف } طبعة دار المعارف .

(٢) صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق / مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م ، ١ / ١٥ .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للعسقلاني ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي ، الرياض ١٠ / ٤٠ .

(٤) تفسير البحر المحيط ، لأبى حيان الأندلسي ٥ / ٢٩٩ .

(٥) تفسير أبى السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، للقاضي / أبى السعود السعود محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي ، دار الفكر ، بيروت ٤ / ٢٧٠ .

الصوتية لاختلاف اللفظين في أن الشغف الحب القاتل ، والشعف جنون [١] .

يؤيد ذلك كله صفتا { الجهر والاحتكاك } اللتان يتصف بهما صوت { الغين } الذى يوحى بالغموض والخفاء نحو : غرق ــ غام ــ غفل ــ غمض ــ غدر . مما يمكن الاعتماد عليه في تبيان هذا الأمر، فكان الحب متخفياً بين جنبات القلب إذ " إن هذا تصريح خرج في غيبة العقل ، كانت المرأة فيه مغلوبة على أمرها حتماً " [٢] .

أما الشعف : فهو لوعة واتقاء واحتراق للقلب وكأن الحب قد مضى عليه زمن طويل الذى أفصح عنه صامت العين المجهور المتوسط الذى يوحى بالانتشار والوضوح نحو علم . شع . شعر . سمع . رفع . وضع[٣] .

فنلاحظ هنا أن صامت { الغين } أضاف دلالة واضحة على الاختفاء ، وكأن ذلك الحب كان متخفياً بين جنبات قلب تلك المرأة فالدلالة منبثقة بشكل واضح من حس الصوت .

٢- { **حَصَبُ – حَضَبُ – حَطَبُ** }

الصاد والضاد والطاء تشترك في كونها من الحروف المستعلية، وإنما قيل لها مستعلية؛ لأنها استعلت إلى الحنك الأعلى ، وهى الحروف التي تمنع الإمالة[٤]. غير أنها من مخارج متعددة ، فمخرج الصاد " مما بين طرف اللسان

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للنحاس ، تحقيق الشيخ / محمد علي الصابوني ، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٩م .١ / ٥٤٠ .

(٢) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، للشيخ / محمد الغزالي ، دار الشروق، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٩٦م ١/ ١٧٩ .

(٣) الكتاب ، لسيبويه ، مطبعة بولاق ، بمصر، الطبعة الأولى ١٣١٧هـ ، ٤ / ٤٣٣ .

(٤) المقتضب ١ / ٢٢٥ .

وفويق الثنايا السفلى " [١] . ومخرج الضاد "من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس " . أما مخرج الطاء فـ " مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا " [٢] . ولم يشع في الكلام من الإبدال بين هذه الأحرف ما يستحق الوقوف عنده وما ورد مما ظاهره ذلك من قبيل قولهم : نضنض لسانه ونصنصه بمعنى : حرّكه ، فقد حكم ابن جنى بأنهما أصلان ؛ لأن الصاد ليست أختاً للضاد فتبدل منها [٣].

أما في القراءات القرآنية فقد ورد إبدال الصاد ضاداً أو طاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [٤] حيث قرأ الجمهور { حَصَبُ } بالحاء والصاد المهملتين المفتوحتين . وقرئت { حَضَبُ جهنم } بالضاد المفتوحة [٥] . و{حَضْبُ} بالضاد المعجمة الساكنة [٦] . و { حَطَبُ جهنم } بالطاء المهملة المفتوحة [٧].

و { الحَصَبُ } على القراءة المشهورة : الحجارة ، والحصى ، والحصباء : الحصى ، واحدته حصبة ، كقصبة وقصباء ، وهو عند سيبويه اسم للجمع [٨] . ويقال للريح التي تحمل التراب والحصى : حاصب [٩] ، قال تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ [١٠] قال الفراء : وأما

(١) الرعاية لمكي بن أبي طالب ، ص ٣٠٩ .
(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٣ .
(٣) سر صناعة الإعراب ١ / ٢٢٥ .
(٤) سورة الأنبياء { ٩٨ } .
(٥) قرأ بها ابن عباس ، معاني القرآن للفراء ٢ / ٢١٢ .
(٦) روية عن ابن عباس ، البحر المحيط ٦ / ٣١٥ .
(٧) وهي قراءة الإمام / علي – كرم الله وجهه – ، المحتسب ٢ / ١١١ .
(٨) اللسان ٣ / ١٩٧ { ح ص ب } .
(٩) الصحاح ١ / ٣٩٣ { ح ص ب } .
(١٠) سورة القمر أية { ٣٤ } .

{ الحَصَبُ } فهو في لغة نجد : ما رَمَيتَ به في النار، كقولك : حصبت الرجل ،أي رميته [١]. وبهذا فُسر قوله تعالى : ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾ فالمراد يقذفون في نار جهنم ، فشبههم بالحصباء التي يُرمى بها الشيء فلما رمى بها كرمي الحصباء جعلهم حصب جهنم تشبيهاً [٢] . قال أبو حيان: وقرأ الجمهور : { حَصَبُ } بالحاء والصاد المهملتين : وهو ما يحُصب به : أي يُرمى به في نار جهنم ، وقبل أن يرمى به لا يطلق عليه حصب إلا مجاز [٣] .

أما على قراءة { حَضَبُ } بالضاد معجمة ومفتوحة ، فكل ما هيجت به النار أو أوقدتها به فهو حضب [٤] . وحضب النار يحضبها : رفعها [٥] . روى عن الكسائي ، أنه قال : حضبت النار إذا خبت فألقيت عليها الحطب لتقد [٦] .

وبذلك تكون هذه القراءة قد أثرت المعنى حين جعلت من العابد والمعبود من دون الله مادة لإيقاد النار ، أو مِسعراً تحرك به لأجل شبوبها إذا ما خبت زيادة في العذاب والتنكيل، ووجه ابن جنى قراءة { حَضْبُ } ساكنة الضاد بمعنى الطرح على إيقاع المصدر موقع اسم المفعول ، كالخلق في معنى المخلوق والصيد في معنى المصيد [٧] .

---

(١) معاني القران ٢ / ٢١٢ .
(٢) التفسير الكبير ٢ / ١٩٤ .
(٣) البحر المحيط ٦ / ٣١٥ .
(٤) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢١٢ .
(٥) اللسان ٢ / ٢١٢ { ح ض ب } .
(٦) تهذيب اللغة ، للأزهري ٤ / ٢٢٠ { ح ض ب } .
(٧) المحتسب ٢ / ١١١ .

أما قراءة { حَطَبُ جهنم } فالحطب معروف ، وهو ما أعد من الشجر شبوباً للنار [١] . ذكر الفراء أن { الحطب } لغة في { الحصب } وهى لغة أهل اليمن [٢] . وذهب ابن جنى إلى أبعد من ذلك حين قال : أما { الحَضَبُ } بالضاد مفتوحة ، وكذلك بالصاد غير معجمة فكلاهما {الحطب } ففيه ثلاث لغات : { حطب } و { حضب } و { حصب } وإنما يقال : { حَصَبُ } إذا ألقى في التنور والموقد . فأما ما لم يستعمل فلا يقال له { حصب } [٣] ، وروى عن ابن عباس أن { الحَصَبَ } هو { الحَطَبُ } بالزنجية . قال الآلوسي بعد أن أورد القراءات التي ذكرت آنفا في هذه الآية : " ومعنى الكل واحد وهو معنى { الحصب } بالصاد[٤] .

ويمكن القول إذا كان المعنى الكلى والغاية التي تؤول إليها هذه القراءات واحداً ، فإن الفروق المعنوية الدقيقة والتفاصيل الجزئية لا شك في حصولها على وفق ما بيناه من تنوع دلالة المفردة التي حصل فيها الإبدال ، وهذا التنوع في الدلالة بعد حصول الإبدال قد أثرى المعنى ولم يؤد إلى الاختلاف أو التناقض .

إلا أن قراءة الجمهور { حصبُ جهنم } هي الراجحة ؛ نظراً لما حققه هذا الصوت {الصاد} من قوة تعبيرية وتحقيق ما يسمى بالانسجام الصوتي بين اللفظ والمعنى .

---

(١) اللسان ٣ / ٢٢٣ { ح ط ب } .
(٢) معاني القرآن ٢ / ٢١٢ .
(٣) المحتسب لابن جني ٢ /١١١ .
(٤) روح المعاني ٩ / ٩١ .

ثالثاً : وقوع التبديل في لام الكلمة :

١ - { قبضَ - قبصَ } :-

القبص : التناول بأطراف الأصابع ، والمتناول بها يقال له : القبص والقبيصة، ويعبر عن القليل بالقبيص وقرئ في قوله تعالى ﴿**فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ**﴾ ﴿**فَقَبَصْتُ قَبْصَةً**﴾[١] وهى قراءة شاذة قرأ بها ابن الزبير وأبو العالية وقتادة " [٢] . والقبوص : الفرس الذى لا يمس في عدوه الأرض إلا بسنابكه ، وذلك استعارة كاستعارة القبص له في العدو . والقبض: تناول الشيء بجميع الكف نحو قبض السيف وغيره قال تعالى : ﴿ **فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ** ﴾ فقبض اليد على الشيء : جمعها بعد تناوله ، وقبضها عن الشيء : جمعها قبل تناوله ، وذلك إمساك عنه ، ومنه قيل لإمساك اليد عن البذل قبض قال تعالى : ﴿ **وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ** ﴾ [٣] أي : يمتنعون من الإنفاق ، ويستعار القبض لتحصيل الشيء وإن لم يكن فيه مراعاة الكف ، كقولك : قبضت الدار من فلان ، أي : حزتها . قال تعالى : ﴿ **وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [٤] أي : في حوزته حيث لا تمليك لأحد . وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً** ﴾ [٥] . فإشارة إلى نسخ الظل الشمس . ويستعار القبض للعدو ، لتصور الذى يعدو بصورة المتناول من الأرض شيئاً ، وقوله

---

(١) سورة طه { ٩٦ } .

(٢) المختصر في شواذ القراءات ، لابن خالويه ، عني بنشره / ج برجستراسر ، دار الهجرة. ص ٨٩ .

(٣) سورة التوبة أية { ٦٧ } .

(٤) سورة الزمر أية { ٦٧ } .

(٥) سورة الفرقان أية { ٤٦ } .

تعالى ﴿ **يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ** ﴾ [١] أي : يسلب تارة ويعطى تارة ، أو يسلب قوماً ويعطى قوماً ، أو يجمع مرة ويفرق أخرى ، أو يميت ويحيى ، وقد يكنى بالقبض عن الموت ، فيقال قبضة الله [٢] .

وأشار ابن جنى إلى تلك الدلالة بقوله : " القبض بالضاد المعجمة باليد كلها ، وبالصاد غير المعجمة بأطراف الأصابع " [٣] .

وفيما تقدم يتضح أن { الضاد } بجهره قد لائم القبض بالكف كلها ، وناسب { الصاد} بهمسه الأخذ بأطراف الأصابع فيكون للصوت المجهور من سمات القوة وطبيعة التأثير مالا يكون لغيره من الصوامت .

٢ – { نشر – نشز } : -

الزاي والراء من الأصوات المتقاربة المخارج ، فهما ضمن مجموعة أصوات تشترك فيكون مخارجها تكاد تنحصر بين أول اللسان ، بما فيه طرفه ، والثنايا العليا ، بما فيها أصولها [٤]. وهما على هذا التقارب لم يحصل بينهما من الإبدال ما يستدعى ذكره من قبل علماء اللغة باستثناء ما ورد من قوله تعالى : ﴿ **وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً** ﴾ [٥] حيث قرئت

---

(١) سورة البقرة أية { ٢٤٥ }

(٢) جمهرة اللغة ، لابن دريد ، دار صادر، بيروت ١٣٥١هـ ، ١ / ٣٠٣ ، ومجمل اللغة ، لابن فارس ، تحقيق / زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م . ٣ / ٧٤١ .

(٣) المحتسب لابن جني ٢ / ٥٥ .

(٤) الأصوات اللغوية ، للدكتور / إبراهيم أنيس ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة١٩٧١م، ص ٤٦

(٥) البقرة أية { ٢٥٩ } .

{ ننشرها } بضم النون الأولى وبالراء المهملة [١] . و{ ننشرها } بفتح النون وضم الشين والراء المهملة [٢].

وأصل { النشوز } على القراءة المشهورة الارتفاع ، يقال : نشز ينشز نشوزا" أشرف على نشز من الأرض ، وهو ما ارتفع وظهر [٣].

قال الفراء في تفسير قوله تعالى { ننشزها } : والانشاز نقلها إلى موضعها [٤].

وقال الطبري معناه : كيف نرفعها من أماكنها من الأرض ، فنردها إلى أماكنها من الجسد[٥] . وقال أبو على الفارسي ، نرفع بعضها إلى بعض للإحياء [٦] .

ونقل أبو حيان أن معناه : ننبتها ، حيث جاء متسقاً مع استعمال العرب ، ومن ذلك قولهم : نشز ناب البعير ، والنشز من الأرض على التشبيه بذلك، ونشزت المرأة كأنها فارقت الحال التي ينبغي أن تكون عليها ، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا** ﴾ [٧] أي : ارتفعوا شيئا فشيئا ، كنشوز الناب

---

(١) معانى القرآن، للفراء، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م ،١/ ١٧٣ .
(٢) الحجة للقراء السبعة ، لأبى على الفارسي ، وضع حواشيه وعلق عليه / كامل مصطفى الهنداوي ، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، ١/٤٧٠ .
(٣) اللسان ١٤ / ١٤٢ { ن ش ز } .
(٤) معاني القرآن ١ / ١٧٣ .
(٥) تفسير الطبري : المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبري ، منشورات / محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ٣ / ٤٦ .
(٦) الحجة للقراء السبعة ، لأبى على الفارسي ١ / ٤٧٢ .
(٧) سورة المجادلة أية { ١١ } .

فبذلك تكون التوسعة فكأن النشوز ضرب من الارتفاع [١].

أما قراءة الإبدال { نُنشرها ونَنشرها } فأصل النشور: الحياة بعد الموت، يقال : نشر الله الميت ينشره نشراً ونشوراً وأنشره فنشر الميت لا غير: أحياه [٢].

قال الأعشى[٣] :

حتى يقولُ الناسُ مما رأوا ∴ يا عجباً للميتِ الناشرِ

ومنه يوم النشور ، وأنشرهم الله أي أحياهم ، ونشر الميت نشورا ، وأنشر الله الميت فنشر [٤]. قال تعالى ﴿ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [٥] وبناء على ما تقدم يكون معنى قراءة ننشرها : إنشارها : أي إحياؤها [٦] .

واحتج ابن خالويه لكلتا القراءتين [٧]، فمن قرأ بالزاي أراد أن العظام إذا كانت بحالها لم تبل فالزاي أولى بها ، لأنها ترفع ، ثم تكسى اللحم، والدليل على

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٣٠٥ .

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ،تحقيق الدكتور/ أميل بديع والدكتور/ محمد نبيل ، منشورات / محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ٢ / ٥٦٣ .

(٣) ديوان الأعشى {ميمون بن قيس} تحقيق الدكتور / محمد حسين ، المطبعة النموذجية بمصر ١٩٥٠م ، ص ١٩١ والبيت من بحر السريع . وورد في البحر المحيط ٢ / ٢٩٧ . والخصائص ٣ / ٣٢٥ . وجمهرة اللغة ١ / ٤٠١ . واللسان ٥ / ٢٠٦ { ن ش ر } .

(٤) الصحاح ٢ / ٦٣ { ن ش ر }.

(٥) سورة الملك أية { ١٥ } .

(٦) معاني القرآن للفراء ١ / ١٧٣ .

(٧) الحجة في القراءات السبع: لأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه تحقيق / أحمد فريد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ، ص ٤٦ .

ذلك قوله تعالى﴿ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ أي الرجوع بعد البلى. أما من قرأ بالراء فإن الإعادة في البلى وغيره سواء عليه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١) ودليله قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ (٢) .

والحقيقة أن الاختلاف في المعنى بين هذه القراءات ليس اختلاف تناقض، وإنما اختلاف تنوع في الفهم أو المعنى ، بما يعمق ويثري المعنى المراد وضوحاً، وانطلاقاً من هذا المفهوم ساوى الطبري بين قراءتي {نُنشِزِها} بضم النون الأولى وكسر الشين والزاي المعجمة ، و{نُنشِرِها } بضم النون الأولى وكسر الشين والراء المهملة ، ورأى أنه لا حجة توجب لإحداهما القضاء بالصواب على الأخرى ، لانقياد معنيهما ، فهما وإن اختلفتا في اللفظ فمتقاربتا المعنى ، لأن معنى { الإنشاز } التركيب والإثبات ورد العظام إلى العظام ، ومعنى {الإنشار } إعادة الحياة إلى العظام ، وإعادتها لا شك أنه ردها إلى أماكنها ومواضعها من الجسد بعد مفارقتها إياها (٣) .

٣- { نضحَ - نضخَ } :

" النضح لغة : يدل على شيء يندى وما يرش ، يقال لكل ما رق : نضح لأن الرش رقيق، فيقال : نضحت البيت بالماء ، أما النضخ : فهو أكثر من النضح ، وهو دفق الماء ، وقد قيل: غيث نضاخ أي كثير الهطول ، وعين نضاخة كثيرة الماء فوارة " (٤) .

---

(١) سورة البقرة أية { ١١٧ } .
(٢) سورة عبس أية { ٢٢ } .
(٣) تفسير الطبري ٣ / ٤٦ .
(٤) لسان العرب ٦ / ٤٤٥٠ {ن ض ح } ، ٦ / ٤٤٥٢{ن ض خ } ومقاييس اللغة { ن ض ح } { ن ض خ}.

وقد ورد هذا اللفظ في قوله تعالى في وصف الجنة التي وعد بها المتقون ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (١) .

جاء في القاموس المحيط : " النضخ ما اشتد فورانه من ينبوعه" (٢) .

ويتفق أهل اللغة والتفسير على أن الآية قرئت بالحاء والخاء ، وأن في هذا التبديل الفونيمي تغيراً دلالياً والذى يبدو واضحاً أن اللفظين بينهما فارق في الدلالة من خلال السياق قال ابن جنى : " النضح بالحاء غير المعجمة للماء السخيف يخف أثره ، وقالوا : النضخ بالخاء لما يقوى أثره فيبل الثوب ونحوه بللاً ظاهراً ، وذلك لأن الخاء أوفى صوتاً من الحاء ، ألا ترى إلى غلظ الخاء ورقة الحاء "(٣) .

وهذا ما أيده الرازي في تفسيره " إذ جعل صعود الماء إلى أعلى شرطاً في الوصف بالنضخ وليس قوة الماء فحسب" (٤) .

ومما يؤيد أن النضخ أقوى من النضح ما ورد في الحديث النبوي الذى رواه الإمام أحمد ".... فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضخ الدم على وجه خالد فسبها خالد فقال النبي ﷺ : مهلاً فو الذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو

---

(١) سورة الرحمن أية { ٦٦ } .

(٢) القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق مكتب التراث ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية١٩٨٧م { ن ض خ }، ١ / ٢٣٨ طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(٣) الخصائص ،لابن جني ، تحقيق / محمد على النجار ، الطبعة الثانية ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ٢ / ١٦٠ ، والمحتسب لابن جني ٢ / ١٩ .

(٤) التفسير الكبير ١٠ / ٣٧٩ .

تابها صاحب مكس لغفر له " [١] .

وترشدنا صفات الصامت في توجيه الدلالة ، فالحاء والخاء صامتان ، كلاهما مهموس احتكاكي ، إلا أن دلالة صوت {الخاء } الذى هو أشد احتكاكاً من {الحاء } مع الاتصاف بصفة الاستعلاء ، أضاف دلالة صوتية واضحة في منظر ذلك الماء الصاعد إلى أعلى ، مما يؤدى إلى زيادة المنظر روعة وجمالا في ذلك المشهد المبدع الذى بين أن النعيم في الجنة على أكمل وجه وأحسنه .

(١) مسند الإمام أحمد ، مؤسسة قرطبة ، مصر ٥ / ٣٤٨ .

المبحث الثانـــي

التبديل الصوتي

بين الصوائـت

المبحث الثاني

التبديل الصوتي بين الصوائت

{ التغير الحركي }

من خصائص اللغة العربية اعتمادها في تغير معانى الكلمة المكونة من مجموعة الصوامت على تبديل حركات هذه الصوامت ؛ إذ لا يمكن الفصل بين الحرف وحركته ؛ فالحركة للحرف كالروح للجسد ، يحيا بوجودها ويموت بفقدها. وقد تنبه علماء اللغة من القدماء والمحدثين إلى أهمية التشكيل الصوتي الحاصل بفعل الصوائت القصيرة أو الحركات في إنتاج أبنية مختلفة ، فالفرق بين { علم } و { عالم } كما يقول اللغويون المحدثون ليس إلا في طول الحركة الأولى حركة العين ، وهذه الحركة الداخلية في الأصل الاشتقاقي هي التي أتاحت للعربية وصفها قمة التطور في المجموعة السامية كثرة غزيرة في الصيغ ، ومرونة في الانتقال من صيغة لأخرى [١] .

كما أشار علماؤنا إلى أن صفتي القوة والضعف تتصلان بالمعنى ومن هؤلاء العلماء سيبويه والمبرد وابن جنى والرضى الاستراباذي [٢].

وقد أدرك ابن جنى الوظيفة الدلالية للصوائت القصيرة وأهميتها في بيان الفروق الدلالية بين الألفاظ ، وميز بين دلالات اللفظة الواحدة عند اختلاف

---

(١) معانى القرآن ، لعلى بن حمزة الكسائي ، أعاد بناءه وقدم له الدكتور / عيسى شحاته عيسى ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ، ص ٢٩

(٢) الكتاب ، لسيبويه ، مطبعة بولاق ، مصر، الطبعة الأولى ١٣١٧هـ ، ٢ / ٢٥٨ . والمقتضب ، للمبرد ، تحقيق/ محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب بيروت ٢ / ١٨٩ . وشرح شافية ابن الحاجب ، لرضى الدين الاستراباذى تحقيق / محمد زفزاف وآخرين مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٨هـ ١ / ٢٠ . والخصائص ١ / ٦٥ .

حركاتها ، إذ يقول : " الذِّل في الدابة : ضد الصعوبة ، والذُّل للإنسان ، وهو ضد العز ، وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة ؛ لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدراً مما يلحق الدابة ، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان والكسرة لضعفها للدابة " (١) .

وقد اتفقت نظرة الدراسات اللغوية الحديثة مع آراء القدماء في قدرة الحركات على توجيه معانى الألفاظ على وفق ما يريده المتكلم ، فيقول الدكتور عبد الصبور شاهين : " ولعل أفضل ما يصور علاقة الصوامت بالحركات في بنية الكلمة أن نقول : إن الصوامت وهى مادة الكلمة الثابتة تحمل المعنى الأصلي ، الذى تدل عليها بمجموعها ، وأن الحركات تشخص المعنى ، حين تبرزه في وضع معين ، فهي التي تستقل بتوجيه الدلالة إلى حيث يريد المتكلم وأقوى هذه الصوائت هي الضمة وتليها الكسرة وأخفهن الفتحة ؛ إذ إن النطق بالضمة يحتاج إلى جهد عضلي أكثر من الفتحة والكسرة وذلك أنها أي الضمة لا تنطق إلا بانضمام الشفتين وارتفاعهما ولا تحتاج الكسرة ولا الفتحة إلى ذلك كما هو ظاهر ومعلوم " (٢) . فعندما نقول قتلتُ فهي للمتكلم ،وقتلتَ فهي للمخاطب ، وقتلتِ فهي للمؤنثة المخاطبة ، فهذا الصائت القصير أعطى دلالات نحوية مختلفة .

فدلالة تغير الحركة وحدها في الكلمة الواحدة ، يعطى معانى مختلفة كما هو الحال في " العِسل – بكسر العين – ما عسل به الرأس ، والعُسل – بضم العين – المادة التي يغتسل بها والذِّل – بكسر الذال – ضد الصعوبة ، والذُّل –

---

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جنى ، تحقيق / محمد عبد القادر عطا ، منشورات / محمد على بيضون ١٤١٩هـ /١٩٩٨م دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢ / ١٨ .

(٢) معانى الأبنية في العربية ، د/ فاضل صالح السامرائي ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٨١م، ص ١٠٠ .والمنهج الصوتي للبنية العربية ، للدكتور عبد الصبور شاهين مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٠م ، ص ٤٤ .

بضم الذال – ضد العز، والغِل – بكسر الغين – الغش والعداوة ، والغُل – بضم الغين – العطش وهو الغلة ، والبُر – بضم الباء – القمح ، والبِر – بكسر الباء – الإحسان ، والبَر – بفتح الباء – اليابسة ، إلى غير ذلك من الأمثلة [١] . ذلك الأمر ما كان ليحدث اعتباطاً ولكن لكل تعبير في معناه الخاص الذى يفهم من خلال السياق ، قال الدكتور فاضل السامرائي : " والقرآن لا يستعمل لفظتين بمعنى واحد تماماً وإن كانتا مترادفتين أو مبدلتين وحتى إذا كانتا من لغتين فهو يخص كل منهما بمعنى كما خص {العيون} بعيون الماء ، ولم يستعملها للباصرة فخص كل لغة بسياق " [٢] .

وعرف الصائت بأنه : هو الصوت اللغوي الذى يحدث نتيجة تكيف في جهاز النطق بحيث يخرج الهواء حراً بلا احتكاك إلى خارج الفم [٣].

أولاً : **التبديل بين الضمة والكسرة** :

١ - {جُذاذ - جِذاذ} :

الجَذ : كسر الشيء وتفتيته ، ويقال لحجارة الذهب المكسورة ولفتات الذهب : جُذاذ ، يقول ابن فارس : " الجيم والذال أصل واحد إما كسر وإما قطع يقال : جَذَذت الشيء كسرته " [٤].

والجُذاذ لغة : من جَذ يجِذ جَذا وهو إما كسر أو قطع ، يقال : جذذت الشيء كسرته وقطعته وفتته ، والجُذاذ : بالضم جمع جذيذة : وهو القطعة الواحدة المكسورة ، وجِذاذ : بالكسر جمع جذيذ : وهو الشيء المتكسر إلى

---

(١) علم الدلالة ، للدكتور /أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٨م ، ص ٥٤

(٢) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، د/ فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، عمان ١٩٩٩م، ص ٤١ .

(٣) الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس ص ١٥٦ .

(٤) مقاييس اللغة { ج ذ ذ } .

قطع ، فالجِذاذ جمع للأصل ، وجُذاذ جمع للفرع [١] وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [٢].

فنلاحظ هنا أن السياق القرآني اختار الصائت { الضمة } لما في ذلك من قوة تعبيرية توحى بالجهد والثقل فهو بحاجة إلى صوت يحاكى ذلك الجهد ، فكانت الضمة التي تسبق الكسرة في الثقل والقوة ... فضلاً عن أن ذلك الجُهد ناسب قسم سيدنا إبراهيم لأن القسم مبالغة بالفعل، وتأكيداً له وحال الأصنام لكونها حجراً أو خشباً أو نحاساً يستدعى استمرارية وقوة في الضرب، وكأنها انتفاضة غاضبة في وجوه الذين سلكوا طريق الضلال وحادوا عن سبيل الحق[٣]

٢ – { هُدنا – هِدنا } : -

ورد هذا التبديل من الضبط الحركي في قوله تعالى على لسان اليهود: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [٤] حيث قرئت: "هِدنا إليك بكسر الهاء "[٥] وهُدنا بضم الهاء على القراءة المشهورة التي عليها رسم المصحف هي من هاد يهود هوداً وتهود : بمعنى تاب ورجع إلى الحق ، قال أعرابي:

إني إمرؤٌ من مدحِهِ هائدُ

أي تائب [٦] .

---

(١) الصحاح ، ولسان العرب ١ / ٥٧٤ { ج ذ ذ } .

(٢) سورة الأنبياء أية { ٥٨ } .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق / صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م ، ٢٨٧ ، ولسان العرب { ج ذ ذ } .

(٤) سورة الأعراف أية { ١٥٦ } .

(٥) روح المعاني للألوسي ٥ / ٧٢ .

(٦) لسان العرب ١٥ / ١٥٦ { ه و د } . والبيت من بحر الرجز .وهو بلا نسبة في ديوان الأدب ٣ / ٣٩٢ .

أما قراءة { هِدنا إليك } بالكسر فهي من هاده يهيده هيداً وهيده : حركه وأصلحه ، والهيدُ : الحركة ، وماله هيدُ ولا هادُ أي حركة ؛ قال ابن هرمة :

ثم استقامت له الأعناقُ طائعةً ∴ فما يقالُ لهُ هيدُ ولا هادُ

أي لا يحرك ولا يمنع من شيء ولا يزجر عنه [١] .

قال ابن جنى : " وأما هِدنا بكسر الهاء في هذه القراءة فمعناه انجذبنا وتحركنا ، يقال : هادني يهيدني هيداً ، أي جذبني وحركني ، فكأنه قال : إنا هِدنا أنفسنا إليك ، وحركناها نحو طاعتك " [٢] .

وعلى الرغم مما تضمنته القراءة المشهورة التي عليها رسم المصحف من معانٍ ودلالات مختلفة إلا أن القراءة الأخرى أضافت معانى أخر ذات صلة وثيقة في التعبير عن المقام وبيان الحال التي عليها اليهود . وقد رجح أبو وجزة السعدى هذه القراءة فيما روى عنه حيث أنكر الضم وقال : " والله لا أعلمه في كلام أحد من العرب وإنما هو هِدنا بالكسر أي ملنا وهو محجوج بالتواتر " [٣] .

ويبدو لي أن الاتساع في معانى لفظة " هدنا " سواء أكان ذلك على القراءة المشهورة بضم الهاء أم على القراءة الأخرى بالكسر دليل على دقة اختيار هذه اللفظة ، فقد عبرت بمعانيها المختلفة المذكورة آنفاً على تمام الخضوع لله سبحانه ولا يمكن للفظة أخرى أن تسد مسدها .

---

(١) لسان العرب ١٥ / ١٧٦ { ه و د } . والبيت من بحر البسيط . وهو منسوب له في المحكم ٤ / ٣٧٥ .

(٢) المحتسب ١ / ١٧٩ .

(٣) روح المعاني ٥ / ٧٢ . و وجزة السعدي هو : يزيد بن أبي عبيد السلمي السعدي ، من بني سعد ، شاعر مشهور من التابعين وهو محدث ومقرئ ، سكن ومات بها ت / ١٣٠ ، ينظر تراجم شعراء الموسوعة الشعرية ١ / ٤٢٨ .

٣ - { سُخريا - سِخريا } : -

السخرية تعنى الامتهان والاحتقار قال ابن فارس : " السين والخاء والراء أصل مطرد يدل على احتقار واستذلال " (١) . وقد ورد هذا الجذر بضم السين وكسرها سُخرياً وسِخرياً ، سِخريا بكسر السين هي : من الاستهزاء والسخرية ، أما سُخريا بضم السين فهي : من باب الاستغلال والتسخير ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً ﴾ (٢) وكل ما فيه من سخر فالاستهزاء إلا {سُخريا} في الزخرف فهو من التسخير والاستخدام (٣). قال الشعراوي : " الحق سبحانه هو الذى قسم المعيشة ، وآفة الحكم أن ننظر إلى المرفوع على أنه الغنى ، لا ، فليس المرفوع هو الغنى بل هو كل ذي موهبة ليست في سواه ، وما دام مرفوعاً في مجال فهو سيخدم غيره فيه ، وغيره سيخدمونه فيما رُفعوا فيه ؛ لأن المسألة أساسها التكامل ليستخدم بعضهم بعضاً ، فيسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل ، فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض ، هذا بماله ، وهذا بأعماله فيلتئم قوام العالم " (٤). وورد هذا الجذر بالكسر في قوله تعالى : ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) مقاييس اللغة { س خ ر } .

(٢) سورة الزخرف أية { ٣١ ، ٣٢ } .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، المشهد الحسيني القاهرة ١٩٦٧م ، ١ / ٤١٨ .

(٤) تفسير الشعراوي ١٤٨٧ .

(٥) سورة المؤمنون أية { ١٠٩ } .

جاء في السراج المنير { فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ } أي : فتسبب عن إيمانهم أن اتخذتموهم {سخرياً} أي : تسخرون منهم وتستهزؤن بهم ، وقرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين، والباقون بالكسر وهو مصدر سخر كالسخر إلا أن في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل : الخصوصية في الخصوص ، وعن الكسائي والفراء أن المكسور من الهزء ، والمضموم من السُخرية والعبودية ، أي: تسخرونهم وتتعبدونهم " [١] .

ولعل الدلالة الصوتية في اختلاف الصائتين له وقع دلالي واضح ، وقوة تعبيرية ، فقد بين الكسر امتهان النفس واحتقارها ، إما بالضحك أو الكلام الناقد اللاذع ، في حين كان للضم وقع أشد على النفس في تسخير الآخرين نفسياً وجسدياً ، وذلك في تبادل المنافع والحوائج مما يحمل المحتاج على الانقياد باللين للطرف الآخر ليحقق ما يحتاجه .

ثانياً : التبديل بين الضمة والفتحة : -

١- { كَره - كُره } : -

استعمل القرآن هذا اللفظ بالفتح للدلالة على المشقة والمعاناة النفسية فقط ، واستعمل الضم للدلالة على المعاناة النفسية والجسدية [٢]، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ [٣]

---

(١) السراج المنير، للخطيب الشربيني، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ٣ / ٤٦٦

(٢) مفردات الفاظ القرآن { ك ر ه } . ودراسات جديدة في إعجاز القرآن ، لعبد العظيم المطعمي ، مطبعة وهبة ، القاهرة ١٩٩٦ م ، ص ٤٢ .

(٣) سورة التوبة أية { ٥٣ } .

وقال تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً ﴾ [١] وهذا تقابل دلالي وضحته الآية الأولى بين الانفاق الاختيار والانفاق الإجباري وهو أمر يؤلم صاحبه وفى الآية الثانية { حملته أمه } أي بعد أن وضعه أبوه بمشاركتها في أحشائها ، حملاً { كرهاً } بثقل الحبل وأمراضه وأوصابه وأعراضه { ووضعته } أي بعد تمام مدة حمله { كرهاً } فدل هذا – مع دلالته على وجوب حق الأم – على أن الأمر في تكوينه لله وحده[٢] .

فهو أشد على النفس لأن صائت الضمة قد أعطى بعداً نفسياً أقوى لأن الحمل والولادة فيه مشقة نفسية وجسدية معاً ، يسهم في تهويل الموقف ، ويحذر الأبناء من عقوق الوالدين وتركيب الألفاظ وجرسها يكاد يجسم العناء والجهد والضنى والكلال : " حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً " لكأنها آهة مجهد مكروب ينوء بعبء ويتنفس بجهد ، ويلهث بالأنفاس ، إنها صورة الحمل وبخاصة في أواخر أيامه ، وصورة الوضع وطلقه وآلامه [٣] .

٢- { **الهُوْن - الهَوْن** } : -

الهُون : المشقة والعذاب ، والهُون : لغة من هان يهون هوناً بمعنى : خف : وقيل: الهون والهوان واحد ، وهو اللين ، والهَون : الرفق والسكينة والوقار[٤].

وهذا الجذر يدل على وجهين : –

---

(١) سورة الأحقاف أية { ١٥ } .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لبرهان الدين البقاعي ، تصحيح وتعليق/ محمد عمران الأعظمي ومحمد عبد المجيد ، القاهرة ١٩٦٩م ، ٧ / ١٨٩ .

(٣) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ٦ / ٤١٧ .

(٤) اللسان ٦ / ٤٧٢٤ { ه و ن } .

أحدهما : تذلل الإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضة ، فيمدح به نحو قوله: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً ﴾ (١) .

الثاني : أن يكون من جهة متسلط مستخف به فيذم بـه ومنـه قولـه تعـالى : ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ (٢) .

ويرسم السياق صورة منكرة لعادات الجاهلية : قال تعلى ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ أَ يُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ (٣) مسوداً من الهم والحزن والضيق ، وهو كظيم : يكظم غيظه وغمه ، كأنها بلية ، والأنثى هبة الله له كالذكر ، وما يملك أن يصور في الرحم أنثى ولا ذكراً ، وما يملك أن ينفخ فيه حياة ، وما يملك أن يجعل من النطفة الساذجة إنساناً سوياً (٤)، فكان الرجل منهم بين أمرين ، إن شاء أمسكها على هون وإن شاء أمر بإلقائها في الحفرة ، ورد التراب عليها ، وهى حية لتموت .

ويتضح لنا بعد ذلك من خلال السياق القرآني أن الضمة مناسبة للكلمة في نصها ؛ إذ أن المشهد اللا إنساني الوارد في قضية استصغار وذل البنت التي لا ذنب لها ، أمر لا يرتضيه من كان في قلبه رحمة .

فاختار صائت الضمة الثقيل لتجانسها مع تلك المسألة الثقيلة على النفس ، أما صائت الفتحة فناسب تلك الصفة العظيمة التي تشعر صاحبها بالطمأنينة والراحة والسكينة ، وهى صفة التواضع في المشي ، فهي لا تشكل معاناة في النطق :

---

(١) سورة الفرقان أية { ٦٣ } .

(٢) سورة الأنعام أية { ٩٣ } .

(٣) سورة النحل أية { ٥٨ ، ٥٩ } .

(٤) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة السابعة ١٩٧١م ، ٤ / ٤٧١ .

أنهم يمشون على الأرض مشية سهلة هينة ، ليس فيها تكلف ولا تصنع، وليس فيها خيلاء ولا تنفج ، ولا تصعير خد ، ولا تخلع أو ترهل . فالمشية ككل حركة تعبر عن الشخصية ، وعما يستكن فيها من مشاعر، والنفس السوية المطمئنة الجادة القاصدة ، تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها ، فيمشى مشية سوية مطمئنة جادة قاصدة ، فيها وقار وسكينة وفيها جد وقوة وليس معنى : {**يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً** } أنهم يمشون متماوتين منكسي الرؤوس ، متداعي الأركان ، متهاوي البنيان ؛ كما يفهم بعض الناس ممن يريدون إظهار التقوى [١]. فارتبط صائت الفتحة بذلك اللفظ الذى يشعر باللين فقد أضفى صائت الفتحة خفة ملموسة في اللفظ وجمالاً في التصوير لا يخفى على المتلقى.

٣- { **قَرح - قُرح** } : -

ورد هذا التبديل الحركي في قوله تعالى : ﴿ **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ**﴾ [٢] حيث قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بن العلاء وابن عامر { **قَرْحٌ** } بفتح القاف وعليها رسم المصحف ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي { **قُرْحٌ** } بضم القاف في جميعهن [٣].

قال الخليل :{ القرح }عض السلاح ونحوه مما يجرح الجسد . إنه لقرح قريح ، وبه قرحة دامية . والقَرح : جرب يأخذ الفصلان لا تكاد تنجو منه ، يقال : فصيل مقروح [٤] .

---

(١) السابق ٣ / ٣٣٠ .
(٢) سورة آل عمران أية { ١٤٠ } .
(٣) التيسير في القراءات السبع ص ٧٥ .
(٤) العين ٣ / ٣٧١ .

وقال الراغب : القَرح : الأثر من الجراحة من شيء يصيبه من خارج [١].

وبذلك فسر قوله تعالى على القراءة التي عليها رسم المصحف ، نقل الطبرسي عن ابن عباس : معناه إن يصبكم جراح فقد أصاب القوم جراح مثله ، وقيل إن يصيبكم ألم وجراح يوم أحد فقد أصاب القوم ذلك يوم بدر[٢] .

وبذلك احتج ابن خالويه { ٣٧٠هـ } لمن قرأ بالفتح لأنه أراد الجراح بأعيانها [٣].

وقيل القَرح بالفتح المصدر من قرِح يقرح قرحاً أراد بذلك ما نالهم من القتل والهزيمة يومئذ [٤] .

أما القُرح : بالضم في القراءة الأخرى فقد قيل : هو لغة في القَرح مثل الضَّعف والضُّعف والكَره والكُره ، والفَقر والفُقر [٥].

وقيل : إن الفتح لغة تهامة والحجاز، والضم لغة نجد . وقيل : هو بالضم الاسم وبالفتح المصدر[٦]. قال الفراء : وكأن القرح ألم الجراحات [٧].

فعلى هذا يكون المعنى أن ما أصابكم من ألم الجراح يوم أحد فقد أصاب القوم مثله من ألم الجراح في بدر، وإن أريد بالقرح المصدر يكون المعنى أن ما نالكم من ألم القتل والهزيمة والانكسار في أحد قد نال القوم مثله في بدر والله أعلم .

---

(١) المفردات ٦٦٥ { ق ر ح } .
(٢) مجمع البيان ٢ / ٨٤٣ .
(٣) الحجة في القراءات السبع ص ٥٥ .
(٤) روح المعاني ٢ / ٢٨٢ .
(٥) الحجة للقراء السبع ٢ / ٣٩ .
(٦) التفسير الكبير ٩ / ١٣ .
(٧) معاني القرآن ١ / ٢٣٤ .

والقرح ثلاث ليال من أول الشهر [١]. وعليه يمكن أن تخرج القراءة بالضم ، أي إن مستكم شيء في أول طريق الإيمان أو بدايته فقد مس القوم مثله في بداية كفرهم وإلحادهم ومحاولتهم القضاء على الإسلام يوم بدر ؛ فيكون بمثابة التسلية للمؤمنين فضلاً عن الدرس والاعتبار في ذلك ؛ لأن طريق الإيمان ونشر الإسلام شاقة وطويلة .

وعلى الرغم من ترجيح أبى على الفارسي القراءة بالفتح ؛ لقراءة ابن كثير بها ؛ ولأن لغة أهل الحجاز الأخذ بها أوجب ؛ لنزول القرآن عليها [٢] .

إلا أن القراءة {بالضم} قد أثرت المعنى وعمقته كما أوضحنا .

٤- { **أَنْفُسِكُمْ - أَنْفَسِكُمْ** } : -

قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [٣] فالقراءة المشهورة {**مِّنْ أَنفُسِكُمْ** }بضم عين الكلمة وعليها رسم المصحف . وقد قرئت {**مِّنْ أَنفَسِكُمْ**} بفتح الفاء [٤]. و{**أَنفُسِكُمْ** }على القراءة المشهورة جمع للنفس ، وللنفس معان عدة منها : الروح ، كقولك : خرجت نفس فلان : أي روحه ، والنفس : ما يكون به التمييز ، والنفس : الأخ ، والنفس : الدم ، وسمى بذلك ؛ لأن النفس تخرج بخروجه . وقيل معنى النفس جملة الشيء وحقيقته [٥] . وعليه فسر قوله تعالى : {**مِّنْ أَنفُسِكُمْ**} .

---

(١) اللسان ١١ / ٩٠ { ق ر ح } .
(٢) الحجة للقراء السبعة ٣٩ .
(٣) سورة التوبة أية { ١٢٨ } .
(٤) هي قراءة عبد الله بين قسيط المكي ، المحتسب ١ / ٤٢٦ .
(٥) اللسان ١٤ / ٢٢٣ وما بعدها { ن ف س } .

أما على قراءة { أَنفَسِكُمْ } فهو من النفاسة ، يقال ، شيء نفيس متنافس فيه ونفِست به على نفسا ونفاسة : ضننت ، ونفس الشيء نفاسة ، أي صار نفيساً . وهذا المكان أنفس من ذاك ، أي أبعد شيئا [١] . وهذا أنفس مالي ، أي أحبة وأكرمه [٢] .

وبذلك فسرت قراءة {مِّنْ أَنفَسِكُمْ } قال ابن جنى : " معناه من خياركم، ومنه قولهم: هذا أنفس المتاع ، أي أجوده وخياره ، واشتقه من النفس ، وهى أشرف ما في الإنسان [٣].أي جاءكم رسول الله- صلى الله عليه وسلم - من أشرفكم وأفضلكم . وقيل {مِّنْ أَنفَسِكُمْ } أي أكثركم طاعة [٤] . وهذه المعاني التي أضافتها هذه القراءة تتناسب مع مقام الرسول الأكرم فهو - عليه السلام - أشرفهم وأفضلهم في كل شيء ، ويكفيه شرفاً أنه - عليه الصلاة والسلام- أول التعينات ، وأنه كما وصفه - الله تعالى - على خلق عظيم [٥].

ثالثاً : التبديل بين الفتحة والكسرة: -

{ الْمَفَرُّ - الْمِفَرُّ } :-

ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [٦] حيث قرئت { أَيْنَ الْمَفَرُّ } بفتح الميم وكسر الفاء وقرئت { أَيْنَ الْمِفَرُّ } بكسر الميم وفتح الفاء ، أما القراءة المشهورة التي عليها رسم المصحف { الْمَفَرُّ } بفتح

---

(١) العين ٤ / ٢٥٠ .
(٢) اللسان ١١ / ٢٣٦ { ن ف س }
(٣) المحتسب ١ / ٤٢٦ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٢٢٣ .
(٥) روح المعاني ٦ / ٥٣ .
(٦) سورة القيامة أية { ١٠ } .

الميم والفاء ، فهي من المصدر أي أين الفرار، قال الشاعر :

يا لبكرٍ أنشروا لي كليباً ∴ يا لبكرٍ أين أين الفِرار

قال الأخفش والزجاج : لأن كل مصدر يبنى هذا البناء ، فإنما يجعل مَفْعَلاً [١]. وهو قول جمهور أهل اللغة ، ومعناه : يقول هذا الإنسان المنكر للقيامة إذا عاين هذه الأحوال أين المفر[٢] . وجوز إبقاؤه على حقيقة الاستفهام ، لدهشته وتحيره [٣] . وقيل إنه يحتمل وجهين : أحدهما : أين المفر من الله استحياء منه ، الثاني : أين المفر من جهنم حذراً منها ٠ ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين : أحدهما : أن يكون من الكافر خاصة في عرضه القيامة دون المؤمن ؛ لثقة المؤمن ببشرى ربه . الثاني : أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها[٤].

أما قراءة :{ **الْمَفِرُّ** } بفتح الميم وكسر الفاء : فهو الموضع [٥] . اسم مكان قياسي من يفر بالكسر [٦]. وعلى هذا يكون معنى الآية على هذه القراءة : : أين الموضع أو المكان الذى يفر إليه[٧] .

ويبدو لي أن السياق يؤيد هذه القراءة بدلالة قوله تعالى بعد الآية محل

---

(١) معاني القرآن ٢ / ٥١٧ . والبيت من بحر المديد ، وهو منسوب للمهلهل في كتاب سيبويه ٢ / ٢١٥ . ولسان العرب ١٢ / ٥٥٧ { ل و م }
(٢) التفسير الكبير للرازي ٣٠ / ١٩٥ .
(٣) روح المعاني للألوسي ١٥ / ١٥٤ .
(٤) التفسير الكبير للرازي ٣٠ / ١٩٥ .
(٥) لسان العرب { ف ر ر } ١٠ / ٢١٧ .
(٦) روح المعاني للألوسي ١٥ / ١٥٤ .
(٧) المحتسب لابن جني ٢ / ٤٠٢ .

الشاهد ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ [١] قال الزجاج : الوزر في كلام العرب : الجبل الذى يلجأ إليه هذا أصله ، وكل ما التجأت إليه وتخلصت به فهو وزر [٢]. أي لا ملجأ من النار ، روى القرطبي قائلاً : وكان ابن مسعود يقول : لا حصن . وكان الحسن يقول : لا جبل . وابن عباس يقول : لا ملجأ . وابن جبير : لا محيص ولا منعة. المعنى في ذلك كله واحد ، والوزر في اللغة : ما يلجأ إليه من حصن أو جبل أو غيرهما ؛ قال الشاعر[٣] :

لعمري ما للفتى من وَزَرْ ∴ من الموتِ يُدركهُ والكِبَرْ

وبذلك تتناسب المعاني المذكورة لقوله تعالى ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ مع تفسير قراءة {الْمَفِرُّ} بكسر الفاء بالموضع أو المكان الذى يفر إليه ، فيكون لها أثر فاعل ، وقوة تعبيرية في توجيه المعنى وإثرائه . وروى عن الكسائي أنه ساوى بين قراءة الجمهور { الْمَفَرُّ } وقراءة {الْمَفِرُّ} وجعلهما لغتين مثل { مَدَب} أو { مَدِب } و { مَصَح } و { مَصِح } [٤] .

فهذا التغير له قيمه التي تتعلق باختلاف الدلالة إلى جانب قيمه الصوتية ، وما يتعلق بالعادات النطقية لقبائل معينة .

أما القراءة الثانية التي جاءت على ضبط آخر { الْمَفِرُّ } بكسر الميم وفتح الفاء فمعناه : الإنسان الجيد الفرار ، كقولهم : رجل مِطْعَن ومِضْرَب أي :

---

(١) سورة القيامة أية { ١١ } .

(٢) معانى القرآن وإعرابه ، لأبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى الزجاج ، علق عليه / أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ، ٢٩٤/٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩ /٦٨ . وورد البيت في فتح القدير ٥ / ٤٧٥ ، براوية براوية يدرك والكبر . وهو من بحر المتقارب .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩ /٦٨ .

مطعان ومضراب وأكثر ما يستعمل هذا الوزن في الآلات ، وفى صفات الخيل [١]. قال ابن جنى في توجيه معنى هذه القراءة : معناه أين الإنسان الجيد الفرار ؟ ولن ينجو مع ذلك ، لا أن هناك مطمعا في الحياة[٢]

رابعاً : التبديل بين الضمة والفتحة في مقابل الفتحة والسكون :-

{ **تُكَلِّمُهُمْ - تَكْلِمُهُمْ** } :-

لم يقتصر التبديل الصوتي بين الصوائت القصيرة (الحركات) على الحركة المفردة بل تعداه ليشمل حركتين في آن واحد ، مثاله ما ورد في قوله تعالى :﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ** ﴾[٣] حيث وقع التبديل في الحركات بين الضمة والفتحة ، مقابل الفتحة والسكون على التوالي في قوله {**تُكَلِّمُهُمْ** } إذ قرئت { **تَكْلِمُهُمْ** } بفتح التاء وسكون الكاف مع تخفيف اللام [٤] . وقد استدل بهذه القراءة لتعضيد أحد وجهى التفسير في قراءة العامة وما عليه رسم المصحف {**تُكَلِّمُهُمْ** } إذ ذهب العلماء في تفسيرها على وجهين : الأول : من الكلام ويؤيده قراءة أُبى {**تُنَبِّئُهُمْ** } [٥] وقراءة يحيى بن سلام { **تُحَدِّثُهُمْ** }[٦]

---

(١) روح المعاني للألوسي ١٥ / ١٥٤ .

(٢) المحتسب لابن جني ٢ / ٤٠٢ .

(٣) سورة النمل أية { ٨٢ } .

(٤) وهي قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والجحدري وأبي زرعة ، المحتسب ١٨٩/٢ . ونسبت إلى أبي زرعة وابن عباس والحسن وأبي رجاء ، الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١٥٥ . ونسبت إلى ابن عباس ومجاهد وابن جبير وأبي زرعة والجحدري وأبي حيوة وابن أبي عبلة ، البحر المحيط ٧ / ٩٢ .

(٥) المحتسب ٢ / ١٨٩ ، والبحر المحيط ٧ / ٩١ . وسورة التوبة أية { ٦٤ } .

(٦) البحر المحيط ٧ / ٩١ .

والمعنى : تكلمهم ببطلان سائر الأديان سوى الإسلام ، وقيل:: تخاطبهم ، فتقول للمؤمن : هذا مؤمن ، وللكافر : هذا كافر [١].

الآخر: معنى { **تُكَلِّمُهُمْ** } : تَجْرَحُهُم من الكَلِمْ ، والتشديد للتكثير ، كما نقول : تُجَرَّحَهُم ، يقال : فلان مُكَلَّم : أي مُجَرَّح ، وقيل : تَسِمُهُم [٢].

وساوى ابن عباس بين قراءة العامة والقراءة الأخرى ، حيث روى أنه سئل عن هذه الآية { **تُكَلِّمُهُمْ** } أو{ **تَكْلِمُهُمْ** } فقال : هي والله { **تُكَلِّمُهُمْ**} و{**تَكْلِمُهُمْ** }؛ تُكَلَّم المؤمن ، وتَكْلِم الكافر والفاجر أي تجرحه [٣] .

ولعل هذا اعتراف صريح من ابن عباس – رضى الله عنه – بأهمية وأثر التبديل الحركي بين الصوائت القصيرة { الحركات } على تنوع المعنى وثرائه ، فقد أضافت قراءة الإبدال معنى جديداً ساهم في بيان الصورة الكلية للمشهد القرآني وإيضاح معناه .

(١) السابق نفس الصفحة .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١٥٥ .
(٣) السابق نفس الصفحة .

الخاتمـــــة

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفصح الخلق أجمعين ، وعلى أله وصحبه ومن نسج على منواله إلى يوم الدين ..... وبعد

وختاماً أرى – لزاماً – أن أوجز في فقرات معدودة أبرز ما تضمنه هذا البحث إتماماً للفائدة .

(١) التبديل الصوتي بنوعيه لم يكن غائباً عن علمائنا الأوائل ، فقد درسه أهل اللغة عموماً ولكنه استقام واستوى على سوقه في علم اللغة الحديث .

(٢) إن كل كلمة لها تعبير فني مقصود ذلك من خلال الأمثلة التي وردت في ميدان البحث ولو تغير موضع الصامت أو الصائت في أي كلمة أو جملة أو نص من كتاب الله – عز وجل – لاختل البناء البياني المحكم لهذا الكتاب العظيم .

(٣) للأصوات في اللغة العربية وظيفة بيانية ، وقيمة تعبيرية كشفها البحث قديماً وحديثاً فمثلاً الغين تفيد معنى الخفاء والغيبة والغموض كما نلاحظ في : غاب ، غمض ، غاص ، غش ، غطى .

(٤) تتوزع المخارج الصوتية من حيث الهمس والجهر والشدة والرخاوة توزيعًا عادلاً يؤدى إلى التوازن والانسجام بين الأصوات كما جاء في صفحات البحث .

(٥) قد يؤدى التبديل الصوتي الحاصل في القراءات القرآنية سواء أكان ذلك على مستوى الحرف الصامت ، أم على مستوى الصائت القصير { الحركة} إلى اختلاف في المعنى مع ملاحظة أن ذلك الاختلاف ليس اختلاف تناقض ، بل هو تنوع في الفهم وإثراء للمعنى بما يعمق المراد ويزيده وضوحاً من خلال قوته التعبيرية .

(٦) ومع ما تضمنته قراءة الإبدال من إثراء للمعنى إلا أن بعض القرائن السياقية قد تكون عاملاً مساعداً في ترجيح القراءة التي عليها رسم المصحف ، كما في قراءة {عشاوة } في حين قد تكون هذه القرائن عاملاً في ترجيح القراءة التي حصل فيها تبديل في الضبط الحركي .

(٧) قد تبلغ قراءة الإبدال مكانة تتساوى فيها مع القراءة المشهورة التي عليها رسم المصحف لانقياد معنيهما ، فلا توجد حجة تقضى بالصواب لإحداهما على الأخرى ، كما ذهب إلى ذلك الطبري حين ساوى بين قراءتي: {ننشزها وننشرها} .

(٨) قد ينتج عن التبديل بين الصوتين اختلاف وتغاير " في المعنى كما هو الحال بين صوتي الشين والسين ، وبناء على هذا الاختلاف تم ترجيح قراءة الإبدال على القراءة المشهورة لأنها أشد إفصاحاً بالعدل من القراءة الفاشية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت بأهم المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم ، تنزه عن كل نقص .

(١) الإبدال، لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق / عز الدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العربي دمشق ١٩٦٠-١٩٦١م .

(٢) الإبدال في ضوء اللغات السامية، لكمال ربحي ، جامعة بيروت العربية ١٩٨٠م .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، المشهد الحسيني ، القاهرة ١٩٦٧م .

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، { المسمى بتفسير أبي السعود } للقاضي/ أبى السعود محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي ، دار الفكر ، بيروت .

(٥) الأصوات اللغوية ، للدكتور / إبراهيم أنيس ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧١م .

(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة والنشر١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

(٧) البحر المحيط ،لأبى حيان الأندلسي تحقيق الشيخ / أحمد عبد الموجود،والشيخ على محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م ، وطبعة ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م .

(٨) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، للدكتور/ فاضل صالح السامرائي ، دار عمار عمان ١٩٩٩م .

(٩) البيان في روائع القرآن ، لتمام حسان ، عالم الكتب، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م .

(١٠) تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م . وتحقيق الدكتور/ أميل بديع والدكتور/ محمد نبيل ، منشورات / محمد على بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.

(١١) تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، تحقيق/ أحمد صقر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٨١م .

(١٢) التصريح بمضمون التوضيح ، للشيخ / خالد الأزهري ، طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبى ، القاهرة .

(١٣) التطور اللغوي التاريخي، لإبراهيم السّامرائي ، دار الأندلس، الطبعة الثانية ١٩٨١م .

(١٤) تفسير الشعراوي ، أخبار اليوم ، قطاع الثقافة ، ١٩٩١ م .

(١٥) تهذيب اللغة ، لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهري تحقيق/ عبد السلام هارون راجعه / محمد على النجار ، بدون تاريخ .

(١٦) الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، اعتنى به وصححه هشام سمير البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

(١٧) جامع البيان في تأويل القرآن { المسمى : بتفسير الطبري } لأبى جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٨م . منشورات / محمد على بيضون ، وطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

(١٨) جمهرة اللغة ، لابن دريد ، دار صادر، بيروت ١٣٥١هـ .

(١٩) الجنى الداني في حروف المعاني ، لحسن بن قاسم المرادي ، تحقيق الدكتور / طه محسن ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

(٢٠) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبى ، القاهرة .
(٢١) الحجة في القراءات السبع ، لأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق / أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .
(٢٢) الحجة للقراء السبعة ، لأبى على الفارسي ، وضع حواشيه وعلق عليه/ كامل مصطفى الهنداوي ، الطبعة الاولى دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .
(٢٣) الخصائص ، لأبى الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق الأستاذ / محمد على النجار ، الطبعة الثانية ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت . وطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
(٢٤) الخلاصة النحويّة ، لتمام حسان ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .
(٢٥) دراسات جديدة في إعجاز القرآن ، لعبد العظيم المطعني ، مطبعة وهبة ، القاهرة ١٩٩٦ م .
(٢٦) دراسات في فقه اللغة ، للدكتور / صبحى الصالح ، طبعة دار العلم للملايين .
(٢٧) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، لمحمد حسين آل ياسين ، دار مكتبة الحياة ١٩٨٠م مجلة اللسان العربي .
(٢٨) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ، الدكتور/ حسام النعيمي ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م .
(٢٩) ديوان الأعشى { ميمون بن قيس} تحقيق الدكتور / محمد حسين ، المطبعة النموذجية بمصر ١٩٥٠م .

(٣٠) روح المعاني ، للعلامة / أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ، ضبطه وصححه ، على عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، بيروت لبنان ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

(٣١) السراج المنير، للخطيب الشربيني، الطبعة الثانية، دار المعرفة ، بيروت .

(٣٢) سر صناعة الإعراب ، لأبى الفتح عثمان بن جنى ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

(٣٣) سر الليال في القلب والإبدال ، لأحمد فارس الشدياق ، مطبعة العامرة السلطانية بالأستانة١٢٨٤م .

(٣٤) سفط الملح وزوح الترح ، لسعد الله بن نصر بن سعيد الحنبلي المعروف بابن الدجاجي ، كتاب الكتروني .

(٣٥) شرح شافية ابن الحاجب ، لرضى الدين الاستراباذى ، تحقيق / محمد زفزاف وآخرين مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٨هـ . وطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

(٣٦) شرح المفصل للشيخ العلامة / موفق الدين يعيش بن على بن يعيش النحوي ، طبعة مكتبة المتنبي بالقاهرة ، طبعة عالم الكتب ، بيروت .

(٣٧) الصاحبي في فقه اللغة ، لابن فارس ، تحقيق الدكتور/ مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ١٩٦٤م .

(٣٨) صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق / مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م .

(٣٩) العربية خصائصها وسماتها ، للدكتور / عبد الغفار حامد هلال ، مكتبة وهبة ، الطبعة الخامسة ١٤٢٥ ه / ٢٠٠٤ م .

(٤٠) علم الأصوات العام ، للدكتور/ كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة ٢٠٠٠م .

(٤١) علم الدلالة ، للدكتور / أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٨م .

(٤٢) العين مرتبا على حروف المعجم ، تصنيف / الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ترتيب وتحقيق الدكتور / عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

(٤٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للعسقلاني ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي ، الرياض .

(٤٤) فقه اللغة وخصائص العربية ، لأبى منصور الثعالبي ، تحقيق/ مصطفى السقا وآخرين ، الطبعة الثانية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبى بمصر ، القاهرة ١٩٥٤م

(٤٥) فن الاختيار والبلاغة العربية د/ محمد بركات حمدي أبو على ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(٤٦) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة السابعة ١٩٧١م .عمان الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م .

(٤٧) القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق مكتب التراث ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية١٩٨٧م .

(٤٨) الكتاب ، لسيبويه ، مطبعة بولاق ، بمصر، الطبعة الأولى ١٣١٧هـ .

(٤٩) الكشاف ، لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه / خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

(٥٠) لسان العرب ، للإمام العلامة / أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ،تحقيق / عبدالله على الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذل ، طبعة دار صادر . ودار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت لبنان .

(٥١) اللهجات العربية ، الدكتور / إبراهيم نجا ، مطبعة السعادة ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م .
(٥٢) اللهجات العربية في روايات غريب الحديث والأثر دراسات صرفية ونحوية، للدكتور / أبو السعود الفخراني، طبعة مكتبة المتنبي .
(٥٣) اللهجات العربية والقراءات القرآنية : خالد محمد ، دار الفجر للنشر والتوزيع ٢٠٠٢م .
(٥٤) مبادئ اللسانيات ، أحمد محمد قدور ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٩٦م .
(٥٥) مجمع البيان في تفسير القرآن ، للشيخ / أبى على الفضل بن الحسن الطبرسي الطبعة السابعة بطهران ١٤٢٥هـ .
(٥٦) مجمل اللغة ، لابن فارس ، تحقيق / زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
(٥٧) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جنى ، تحقيق / محمد عبد القادر عطا ، منشورات / محمد على بيضون ١٤١٩هـ /١٩٩٨م دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
(٥٨) المختصر في شواذ القراءات ، لابن خالويه ، عني بنشره / ج برجستراسر، دار الهجرة .
(٥٩) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، للدكتور/ رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م .
(٦٠) المزهر في علوم اللغة ، للسيوطي ، تحقيق / محمد أبى الفضل إبراهيم وآخرين ، دار التراث بالقاهرة ، الطبعة الثالثة بلا تاريخ .
(٦١) مسند الإمام أحمد ، مؤسسة قرطبة ، مصر .
(٦٢) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، الدكتور/ عبد العزيز سعيد الصيغ ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، دمشق ١٤٢١هـ / ١٩٩٨م .

(٦٣) معانى الأبنية في العربية ، د/ فاضل صالح السامرائي ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٨١م .
(٦٤) معانى القرآن ، لأبى زكريا يحيى بن وزياد الفراء الطبعة الثالثة، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م .
(٦٥) معانى القرآن ، لعلى بن حمزة الكسائي ، أعاد بناءه وقدم له الدكتور / عيسى شحاته عيسى ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة .
(٦٦) معانى القرآن وإعرابه ، لأبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى الزجاج، علق عليه / أحمد فتحي عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .
(٦٧) معاني القرآن وإعرابه للنحاس ، تحقيق الشيخ / محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٩م .
(٦٨) مفاتيح الغيب ، { المسمى بالتفسير الكبير } للإمام فخر الدين الرازي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ١٠ / ٤٩ .
(٦٩) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق / صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م . والطبعة الرابعة ، ١٤٢٥هـ .
(٧٠) مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة مصطفى البابى الحلبى ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . وطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١م .
(٧١) المقتضب ، لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق/ محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب بيروت .
(٧٢) الممتع في التصريف ، لابن عصفور ، تحقيق الدكتور / فخر الدين قباوة ، طبعة دار الآفاق الجديد ، الطبعة الرابعة ،

(٧٣) من أسرار اللغة، لإبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة البيان العلمي، الطبعة الثانية .

(٧٤) المنهج الصوتي للبنية العربية ، للدكتور عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٠م .

(٧٥) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، للشيخ / محمد الغزالي ، دار الشروق، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٩٦م .

(٧٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لبرهان الدين البقاعي ، تصحيح وتعليق/ محمد عمران الأعظمي ومحمد عبد المجيد ، القاهرة ١٩٦٩م .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة	١٥٩٣
٢	التمهيد : ظاهرة التبديل الصوتي بين القدامى والمحدثين	١٥٩٧
٣	المبحث الأول : التبديل الصوتي بين الصوامت	١٦٠٦
٤	توطئة	١٦٠٧
٥	أولاً : وقوع التبديل في فاء الكلمة	١٦٠٩
٦	ثانياً : وقوع التبديل في عين الكلمة	١٦١٨
٧	ثالثاً : وقوع التبديل في لام الكلمة	١٦٢٤
٨	المبحث الثاني : التبديل الصوتي بين الصوائت	١٦٣١
٩	توطئة	١٦٣١
١٠	أولاً : التبديل بين الضمة والكسرة	١٦٣٤
١١	ثانياً : التبديل بين الضمة والفتحة	١٦٣٨
١٢	ثالثاً : التبديل بين الفتحة والكسرة	١٦٤٤
١٣	رابعاً : التبديل بين الضمة والفتحة في مقابل الفتحة والكسرة	١٦٤٧
١٤	الخاتمة	١٦٤٩
١٥	ثبت بأهم المصادر والمراجع	١٦٥٢
١٦	فهرست الموضوعات	١٦٦٠